مجلة البحث العلمي في الآداب
(مجلة علمية محكمة)
(ISSN2356-8321) (Print)
(ISSN2356-833X) (Online)
https://jssa.journals.ekb.eg/

استراتيجيات مواجهة العداء السياسي وتطورها عند الخليفة المعتضد وخمارويه بين " الإصابة والإخفاق- " دراسة تحليلية " " ٢٧٠-٢٨٢هـ/٨٨٤-٨٩٦م "

أ.م.د| إيمان مصطفى عبدالعظيم

استاذ التاريخ الإسلامي المساعد

كلية التربية- جامعة عين شمس

dremam71@ymail.com

تاريخ استقبال البحث: ٢٠٢١/٨/٣١
تاريخ قبول النشر :٢٠٢١/١٢/١٣

المستخلص :

وجهت الدولة الطولونية بقيامها لدار الخلافة العباسية" لطمة صارخة أدت لانقسام الرأي داخله ما بين مؤيد ومعارض لها عندما استغل أحمد بن طولون ذكائه في إقناع الخليفة "المعتمد بالاستقلال بولاية مصر، في حين لم يرتضي ولي عهده "الموفق" وشكل له عقبة قوية، وناوئه ساعياً لاسترداد مصر، حتى توفي ابن طولون، وورث ملكه ابنه الشاب خمارويه، فتفاءل الموفق ورأي أن الوقت وقت التدبير السياسي، وهو ما نقله لابنه "المعتضد"، دلك الشاب الراغب عن كثب في استرداد مصر غير أن والده نصحه بتحقيق مأربه بالتدبير، بقوله: "بني طولون لن يُؤْتَوْا من قريب? ما دامت في يدهم خزائن مصر، وتحت أرجلهم كنوز الفراعنة"، وابنه هذا هو ما سيكمل مشواره، ولما وصل إلى سدة الحكم، وجد الشابان الحاكمان نفسيهما وجها لوجه وقد ورثا إرثا ثقيلا وعداءً سياسياً له جذور قديمة، وألقي على عاتقهما مسئولية ثقيلة، وسرعان ما بدأ المعتضد في تنفيذ مخطط أبيه الحكيم، مستغلا إسراف خمارويه المبالغ فيه، رسم له الشرك ولسوء حظ خمارويه اندفع ووقع فيه دون انتباه، واشترك مع الخليفة العباسي في انهيار دولته المستقلة عن غير قصد.

الكلمات المفتاحية: استراتيجيات؛ المواجهة، العداء السياسي؛ المعتضد؛ خمارويه

المقدمة:

تمكن أحمد بن طولون(**٢٥٤-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٣م**) **بذكائه السياسي.**(البلوي،د.ت، ص٣٣)، من إقناع الخليفة العباسي"**المعتمد**"(**٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢م**).(الكازروني،١٩٧٠م، ص ص ١٦١-١٦٣؛ السيوطي،٢٠٠٤م، ص ص ٢٦٤-٢٦٧) بــأن **يستقل** بولاية مصر **مستغلاً** في ذلك **الخليفة لانصرافه** عن **أمور الحكم.**(البلوي، د.ت، ص٤٦؛ (The Encyclopedia of Islam,1986, V.1, pp278-,) **وتحمل** في سبيل ذلك مصاعب **عداء** ولي **عهد الخلافة الموفق طلحة** (**ت٢٧٩هـ/ ٨٩٣م**).(الزبير بن بكار،١٩٩٦م، ص ص ٢-٤؛ المسعودي، د.ت، ص ص٨١-٨٥) الذي أدرك **خطورة طموح** ابن طولون، وسعي **جاهداً** ليكون له **عقبة كئود** طوال فترة حكمه **التي امتدت** لنحو **ستة عشر** عام، **وناوئه بالحرب والتدبير السياسي،** كي يسترد مصر من حوزة **ابن طولون** الذي أقام دولة واهتم **بعمرانها وإثراءها، وزاد من** قوة جيشها عدة وعتاداً، و**مد نفوذ** سلطانه إلي الشام، حتى **تــوفي تاركاً** دولته إرثا قويًا لأبنائه من ورائه.(البلوي، د.ت، ص ٣٤٩)، **وكذلك: نصيحة سديدة** لمن **يخلفه** بحسن قيادة الدولة والتدبير السياسي لها مع دار الخلافة العباسية المعادية لهم، و**بالفعل خلفه** ابنه الشاب **خمارويه عام٢٧٠ه/٨٨٣**.(ابن الجوزي، ١٩٩٢م، ص٤٨)، وعمل على **توحيد** الدولة الطولونية، **وجعلها دولة** تعترف بها الخلافة صاحبة " **النفوذ الاسمي والفعلي**" عندما عقد معها **معاهدة صلح** سنة **٢٧٦هـ/٨٨٩م، وحصل** بمقتضاها على حكم ولاية مصر والشام جميعه بما فيه **الثغور.**(منطقة الحصون التي بنيت على تخوم الشام والجزيرة لصدّ غزوات الروم، ولهذا عرفت بمصطلح "**الثغور الرومية**"؛ مجمع اللغة العربية، ص٨٤) لمدة ثلاثين سنة، **بتفويض الخليفة العباسي وولي عهده الموفق** الذي **كان مدبراً** لسياسة **الخلافة العباسية آنذاك.**(الطبري، د.ت، **ج١٠، ص١٥؛ ابن تغري بردي،١٩٥٢م، ج٣، ص٥٢)، وخلص إلى قرار بالاستفادة** من تجارب الماضي لإسقاط البيت الطولوني **عن طريق اصطناع السياسة لا بالحرب، ورأي أن الوسيلة الناجحة هي: السياسية الاقتصادية،** فالاقتصاد **يلوي ذراع السياسة ليا**ً، وهو ما نقله **ناصحاً** لابنه أبو العباس(**المعتضد**).(الكازروني، ١٩٧٠م، ص ص١٦٤-١٦٧؛ السيوطي،٢٠٠٤م، ص ص٢٦٨-٢٧٣) حين **طلب منه** محاربة **خمارويه**(**٢٧٠-٢٨٢ه/٨٨٤-٨٩٢م**) **قائلا: "ولكنَّ بني طولون لن يُؤْتَوْا من قريب؟ ما دامت في يدهم خزائن مصر، وتحت أرجلهم كنوز الفراعنة، فإن استطعت فأنفذ إليهم من هذا الباب، فإنك إن أنفذْتَ المال من خزائنهم فقد انتهيت من الأمر وبلغْتَ الغاية"**.(البلوي، د.ت، ص ٣٥٧؛ العريان، ٢٠١٥م، ص ٢٩)، **أي** أن المراد **إفقادهم عامل القوة** الممثلة في المال الذي به يتقووا، وبلا شك هذا **الابن الشاب** قد تفتحت عينيه على **كراهية الطولونيين،** وهو ما **سيزداد** ويصير **حقداً وعداءً** خاصة بعد تكرار **الصدام الحربي** بينهما وهزيمته في مرات عدة.

هكذا،،، تولي خمارويه **الحكم بعد أبيه، فنازعه** الموفق **وابنه أبو العباس** حتى توفي الأب.(الطبري،د.ت، ج١٠، ص٢٢) وتولى **الابن "المعتضد" وبوصوله** للحكم(**٢٨٠هـ/٨٩٠م**) وقف علي الساحة السياسية رجلان **شابان أعدقاء "عدوان صديقان،** كلاهما ورث إرث كبير من العداء السياسي، **فالأول خليفة** يريد **استرداد** هيبة الخلافة، **والثاني** والي حاكم مستقل يريد الحفاظ علي دولته واستقلالها ومنع سقوطها، لكنه **بادر بمخالفة نصيحة** والده الأخيرة المتعلقة بحسن سياسة الدولة مع دار الخلافة، مما **أثار العداء** بينه ودار الخلافة، وبادرت منذ توليه بإيجاد **المنغصات،** الحرب المباشرة مرة ، والمؤامرة مرة، وخمارويه يتخطي كل ذلك، وبعد مضي **سبع سنوات** ومع أوائل الثامنة ووصول المعتضد للخلافة، **فكر خمارويه** في **حل سلمي،** حل لطالما لجأ إليه أبوه ومتأصل في العائلة الطولونية، فكرة **المصاهرة السياسية،** ونصب الشرك للمعتضد، أملاً في إيقاعه في الفخ، غير أن المعتضد فاجئه بتأنيه وحسن

تدبيره.(الطبري، د.ت، ص٢٢)، **ولمواجهة هذا العداء،** استخدم الرجلان **خطة إستراتيجية** أظهرت ما يتمتع به كلاهما من **فطنة ودهاء وحسن تدبير،** فمن **بدأ بالتخطيط** والتنفيذ، **وأيهما نجح؟** ومن كان **أكثر** حنكة وتدبيراً سياسياً؟ أيهما **وقع** في شرك الآخر دون أن **يدرك** ذلك؟!!.

هذه العلاقة السياسية المتميزة بين الطرفين، عرضت لها المصادر المعاصرة لها واللاحقة، وإن عرضت لها في **خضم** أحداث العصر دون **الخوض** في تحليل المواقف وأسبابها ونتائجها، أما **الدراسات السابقة الحديثة** فلا أكن مبالغة إذ قلت أنها قليلة أو محدودة، وأقصد **الرسائل العلمية،** مما دفعني لتناول هذا الموضوع **والتركيز** علي جانب من جوانب **الموقف السياسي** لولاة عهد الخلافة ممثلاً في استراتيجيات مواجهة المناورات السياسية، الخاصة **بالمعتضد** تحديداً كنموذجا لما قدمه من دور وما **استفاده** من تجارب والده السياسي المخضرم، الذي ألقي إليه بحكمته وحنكته ليحسن التصرف ويتخلص من دولة الطولونيين، ومن **هذه الدراسات السابقة** أذكر منها التي كان لها **فائدة جمة** في هذه الورقة البحثية في ترتيب زمني **تصاعدي،** منها: **صفاء حافظ عبد الفتاح،** نظم الحكم في الدولة العباسية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الآداب،١٩٨٤م؛ **زنوبة نادى أبو زيد،** الأحوال السياسية ومظاهر الحياة الاجتماعية في العراق منذ أوائل القرن الثالث الهجري حتى عهد المعتمد على الله، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٩٨٥م؛ **ناريمان صادق عبد القادر الألشي،** الدولة العباسية في عصر المعتضد(**٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م**)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى،١٩٨٨م؛ **فاتن محمد البنداري الشيخ،** الجيش في مصر في العصرين الطولوني والإخشيدي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، ٢٠٠١م؛ **محمد أحمد السيد حسانين،** الطولونيون بمصر وعلاقاتهم الخارجية بالدول المجاورة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، ٢٠٠١م؛ **ربيع رشاد محمود إمامك،** التجار في مصر الإسلامية منذ قيام الدولة الطولونية وحتى قيام الدولة الفاطمية(**٢٥٤-٣٥٨هـ/٨٦٨-٩٦٩م**)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨م.

وبعد،،، حول هذا الموضوع ستدور هذه الورقة البحثية، من خلال **نقاط رئيسة، هـــي:**

- التمهيد: بدايات العداء السياسي بين دار الخلافة العباسية وبيت آل طولون:

أولاً": العداء السياسي بين المعتضد وخمارويه **ومراحل تطورها:**

المرحلة الأولي:" قبل تولي المعتضد الخلافة":

أ- **أسباب** العداء السياسي.

ب- **أحداث** مواجهة العداء السياسي **وصورها:** الصدام الحربي- المناورة السياسية.

ج- **نتائج** مواجهة العداء السياسي بين الرجلين.

المرحلة الثانية: " المعتضد خليفة":

أ- **المعتضد** وخمارويه وصدام حربي جديد.

ب- **إستراتيجية** خمارويه في المواجهة.

ت- **إستراتيجية** المعتضد ورد فعله تجاه طلب خمارويه.

ثانياً: النتائج المترتبة علي استراتيجية المواجهة بين الرجلين وأثارها.

ثالثاً: عوامل نجاح الخليفة المعتضد في استراتيجيته.

رابعاً: أوجه التشابه والاختلاف بين الرجلين.

الخاتمة: فيها ما توصلت إليه من نتائج في هذه الدراسة، ثم ذيلتها بملاحق الدراسة.

والله ولي التوفيق،،،

التمهيد:

- **العداء السياسي بين دار الخلافة العباسية وبيت آل طولون:**

اتسمت العلاقة بين الطولونيين والعبَّاسيين **بالحرب الباردة** نتيجة **للدسائس** التي كان **يُحيكُها في دار الخِلافة الساسة العبَّاسيين- ولاة العهد خاصة- ضدهم، سعياً للتخلص منهم، وأخطر من واجه** أحمد ابن طولون(**٢٥٤-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٢م**) من **العبَّاسيين كان الأمير الموفق طلحة(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)**.(البلوي، د.ت، ص٨١)، ولي **عهد** الخليفة **المُعتمد(٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢م)**، الذي أراد استعادة هيبة الخلافة، **فسيطر** على الشُؤون العامَّة في دار الخِلافة، وقاد **حركةً إصلاحيَّةً** للنُهوض بالسُلطة المركزيَّة، **وتقوية قبضتها** على ولاياتها ومن بينها **مصر** دون شك، **لتبقى** مع **الشَّام** خالصتين له من دون مُنافس **بِفعل خيراتهما،** ونظرًا لِأهميتهما السياسيَّة والاقتصاديَّة.(الطبري، د.ت، ج١٠، ص١٦؛ البلوي، د.ت،ص ٢٩٣،٢٨٠)، **وسعى جادًا** إلى القضاء على **الإمارة الطولونيَّة** التي انفصلت عن الإدارة المركزيَّة في **بغداد،** واستقلَّت بِحُكم مصر بل وبدأت تتطلَّع نحو الشَّام، **في** ذات الوقت الذي **نهض أحمد بن طولون** لِلدفاع عن حُقوقه المُكتسبة في مصر، فتصدَّى **لِقُوَّة المُوفق، واستمرَّ الخلاف قائمًا بينهما حتَّى السنوات الأخيرة** من حياة ابن طولون.(البلوي، د.ت، ص ٣٥٨؛ Stanly, 1901, p.61)، **ولم يُفلح** أيٌّ منهما في القضاء على الآخر، فاتجها إلى تحسين الأجواء بينهُما، وإصلاح ما فسد.(المسعودي، ١٣٤٦هـ، ج٢، ص ١٢٩؛ ابن خلكان، ١٩٧٨م، ج١، ص ٣٥)، **أما ابن طولون** فكان يعلم أن الخلافة **صائرة يومًا** إلى **الموفق،** وسيبلغ بهذا **الحق** من قوة الأثر في نفوس المسلمين من رعايا دولة الخلافة ما يَفُلُّ?? به **سيف** ابن طولون، ويحطم كبريائه.(ابن الجوزي،١٩٩٢م، ص ص ٤٣-٤٥)، **وأما الموفق** فلم يكن يحمل **من هم ابن طولون** إلا أمرًا واحدًا، لو كُفِيَهُ **لانهارت** الدولة الطولونية كلها، فلم تَقُمْ لها قائمة بعدُ، ذلك هو **غنى أحمد بن طولون بالمال**.(الطبري، د.ت، ج١٠، ص ص١٦-١٧)، هذا **المال** الذي يشتري به الجند للحرب، ويصطنع به الصنائع للسياسة، فيغلب به ويتمكن، ولذلك **راح** كلا الرجلين يدبر أمره ليحطم صاحبه من حيث يظن به القوة **!، وألقت** ضرورات السياسة **قناعًا** على ما بين الرجلين من عداوة إلى حين، ولكنَّ كليهما كان يعلم **أين مكانه** من صاحبه على التحديد.(للمزيد راجع رسالة أحمد ابن طولون للموفق في الملحق رقم (١)؛ البلوي، د.ت، ص ٨١)، **وكادت** الخِلافة العباسية أن تعترف **بِشرعيَّة** حُكم ابن طولون لولا أن **وافته المنيَّة، وبايعت الجند** ابنه **خمارويه(٢٧٠-٢٨٢هـ/٢٨٢-٢٩٢م)**.(الكندي، ١٩٠٨م، ص٢٦١)، وعلي الرغم من **نصح والده** له بالإبقاء علي علاقات **حسنة** مع دار الخلافة.(البلوي، د.ت، ص٨١)، إلا أن **خمارويه** فأجئ **الموفق** بتمرده **وعصيانه،** ولم يرسل **الخراج** كاملاً للخلافة.(ابن تغري بردي،١٩٥٢م، ج٣، ص٥٢)، **كما** قال **الموفق** غاضباً لابنه أبو العباس: «**ولايرسل إلينا من خراج مصر إلا ثلث ما كان يرسله إلينا أبوه، وما أحسب أن موارد مصر قد نضبت! هذا قليل من كثير، وهو ما جاءت به عيوننا التي أوفدناها إلى القاهرة!**».**(العريان، ٢٠١٥، ص٢٩)**.

رد المعتضد ابن الموفق محرضا إياه علي الحرب: « **ما يجدر بك أن تسكت على خمارويه، يجب أن تبعث له جيشاً يدخل مصر، ليضم بالقوة ملكها إلى ملكك!**».(ابن تغري بردي، ١٩٥٢م،ج٣، ص٥٣)، وهو في **هذا القول** تدفعه حماسة الشباب، فأجابه أبوه ، موضحاً حقيقة **حال الخلافة** العباسية: « **لم تعد يا ولدي الخلافة العباسية غير رداء خلق، ملأه الفقر بالرقع، وما أحسب جيوشناً تثبت ساعة أمام جيش خمارويه**».(ابن تغري بردي، ١٩٥٢م،ج٣، ص٥٣)، لكن المعتضد رد **بحماس**: «**ابعثني يا أبي على رأس جيشك، وسترى ما افعل**»، فيهدئ الموفق من روع ابنه بالقول: « **خزينة خمارويه حافلة بالمال وقدرته بالإنفاق على الحرب لا تدانيها قدرة، بينما نحن نستجدي أقوات الجند**».(العريان،٢٠١٥م، ص٢٩)، **فيقاطعه** ابنه المعتضد في حماسة الشباب: «**والله يا أبي إن لم تبعث بي في جيش إلى هذا الرجل، لخرجت إليه وحدي، فما كنت سليل البيت العباسي وحفيد الرشيد إن لم أجرد خمارويه من مصر والشام، وأضم كل ذلك إلى ملكي!** ».(العريان،٢٠١٥م، ص٢٩)، وهو بذلك القول يكشف عن ما في قلبه وخاطره من **كراهية وبغض** ورغبة متأصلة لاسترداد مصر واستعادة هيبة الخلافة مهما كلفه ذلك.

هكذا،، كشف المعتضد عن **عدائه** للبيت الطولوني، وحاكمه الجديد خمارويه، وسعي لتركيز جهوده لإسقاط الدولة الطولونية، غير أن الموفق في دلك الوقت قد ركن لتبديل **السياسة الموجهة، ونصح** ابنه المعتضد بأن يستكمل المشوار الذي بدأه، وأن يركز علي **حسن التخطيط والتدبير السياسي** للقضاء عليهم، مما يدفع بالحديث عن **أطوار** تطور موقف المعتضد العدائي تجاه خمارويه الطولوني من خلال **ثلاث نقاط رئيسة** هي: الأسباب، والأحداث، والنتائج المترتبة، علي **النحو التالي**:

أولاً: العداء السياسي بين المعتضد وخمارويه:

- **مراحل تطور بين العداء السياسي المعتضد وخمارويه:**

مرت السياسة العدائية بين الأميرين العباسي والطولوني(المعتضد وخمارويه) بعدة **مراحل رئيسة،** واتخذت المواجهة بينهما أكثر من صورة، مما يدلل علي جعل هذه السياسة العدائية بينهما تتسم بالنمو والتطور عبر مراحل متصلة اعرض لها علي **النحو التالي :**

(أ)- أسباب العداء السياسي بين المعتضد وخمارويه:

شب المعتضد علي **كراهية ابن طولون** لعصيانه واستقلاله بمصر **درة تاج** الخلافة العباسية، بل **وتماديه** في القوة والطغيان، مما دفع **بالشاب العباسي** لازدياد كراهيته، حتى **توفي،** وما إن وصل **خبر وفاته،** حتى بادر **أبو العباس أحمد وقال** لأبيه **الموفق**: « **يا أبه! لقد جاءك النبأ بمهْلِكِ أحمد بن طولون صاحب مصر، أَفَلَسْتَ ترى خلاصك منه حين فراغك من أمر صاحب الزنج.**(علي بن محمد بن عبد الرحيم الورزنيني العلوي، عرف بصاحب الزنج، لأن غالبية أنصاره كانوا من العبيد ذوي البشرة السوداء، قاد ثورة ضد الحكم العباسي بين عامي ٢٥٥-٢٧٠ه/٨٦٩-٨٨٣م، أدت لي سيطرته علي مناطق عدة ببلاد العراق منها البصرة والأهواز حتى هدد بغداد، فحاربه الموفق طلحة، ودارت بينهما حروب انتهت بمقتله؛ المسعودي، د.ت، ج١،ص٣١٩؛ الثعالبي،١٩٨٥م، ص ص٣١٩-٣٢٠؛ ابن الجوزي،١٩٩٢م، ص٤٥)، **أذانًا من الله بحرب تلك الدولة الناشئة في العصيان؟ لقد بلغت دولة بني طولون ما بلغت حتى لَتُوشِكُ أن تغزونا في ديارنا، فإن يكن ثَمَّ قِصاص؟ فهذا أوانه».**(العريان، ٢٠١٥م، ص٢٩)، **وكأن** الابن يدفع بأبيه لخوض الحرب، ويتعجله في الخلاص من ورثة أحمد ابن طولون.

جاء رد **الموفق:** « **لَبِّثْ قليلًا يا بُنَيَّ**؟ »، إشارة منه **للاستهانة** بعدد سنوات حكم ابن طولون، اللاتي بلغن نحو **ستة عشر** سنة، **وليهدأ** من اندفاع ابنه الشاب، ثم **استطرد** قائلاً: «**إنك لست تدري على أي هول تُقبِل من حرب هذه الدولة، وقد مات أحمد بن طولون، ودَدِتْ لو كان اليوم حيًّا، إذن لَنِلْتُ منه منالًا، فذلك رجل رُبّي في خدمتنا، وشاهد قوة أمرنا وأحوالنا، فامتلأ من ذلك قلبه، وكبرت سطوتنا في عينه».**(العريان، ٢٠١٥م، ص٢٩)، **وكأنه أراد** أن يوجز **لابنه حقيقة الوضع** الراهن للخلافة العباسية والذي من خلاله **عصي** ابن طولون فما **فعل ما فعله** إلا وهو علي وعي بقوة وسطوة الخلافة، وليس عصيانه تجرأ منه بل استغلالا لمواهبه وذكائه، فقد لجأ لاصطناع السياسة لا للحرب.

ثم استطرد موضحاً لابنه طبيعة شخص **وريث ابن طولون،** وحاله وحال الدولة الطولوني، **قائلا:**« **وقد خلَّف لولده "خمارويه"دولة واسعة، وجيشًا وعدة، ومالًا لا يبلغه الإحصاء، وقد اجتمع لولده إلى ذلك قلة التهيب لنا؛ إذ لم يشاهد من أحوالنا ما شاهده أبوه، وليس بينه وبيننا ذمة؟ تعطفه، ولا له في دولتنا عهد يرده، وإنما يرى كل ما في يده تراثًا خلَّفه له أبوه، فإنه ليدافع عنه دفاع صاحب الحق عن حقه، وما أجدَرَهُ بذلك أن يكيدنا ويبلغ منا!».(البلوي، د.ت، ص٣٥٧).**

ما من شك أن **خمارويه** ثاني حكام البيت الطولوني يختلف عن **أبيه، وأقوي** منه حالاً ووضعاً، فقد ملك **دولة قوية وثرية،** ولها **جيش قوي** العتاد والعدة، وهو من **شب** في كنف أبيه ولم يشهد من قوة الخلافة وسطوتها **سوي** ما دار بينها وبين أبيه، فاجتمعت فيه الخصال لتمكنه من الوقوف في وجه الخلافة حماية لعرشه، خاصة وهي الآن أضعف مما كانت عليه زمن أبيه.

واصل الموفق كلامه، موضحاً حقيقة حال الدولة العباسية، وأن وضعها الحالي لا يسمح لهم بحرب الطولونيين، فالحرب الآن ليست **بالسبيل الصحيح** لإسقاط دولتهم، قائلاً: «**..ونحن اليوم يا بُنَيَّ قافلون؟ من حرب استنفدت منا مالًا وجهدًا، وعُدَّة وعددًا، وإنه على ما وصفتُ لك من البأس والغنى، فلعل التريُّث في أمره أن يفتق لنا حيلة، ويبلغنا منه ما نأمل إن شاء الله».**(العريان، ٢٠١٥م، ص٢٩).

هكذا،، كان التريث وإحكام التدبير والتخطيط مطلوباً للتخلص من **خمارويه** نهائياً، وأهم وأنفع من **التعجل** بمواجهته بحرب مباشرة، فالموفق - دون شك- لا يقل عن ابنه حبا لعز دولة الخلافة، وتجديد سبابها، واستعادة قوتها، لكن القضاء علي الطولونيين ليس بالسيف ولكن **بالمال،** ثم انتهي **الحوار** بين **الشاب وأبيه** بقول **الموفق: « يا ليت يا أبا العباس، وأنت تعلم أنْ ليس شيء أحب إلى نفسي، وليس أحد من بعْدُ أعز عليَّ منك، ولكنَّ بني طولون لن يُؤْتَوْا من قريب،؟ ما دامت في يدهم خزائن مصر، وتحت أرجلهم كنوز الفراعنة، فإن استطعت فأنفذ إليهم من هذا الباب، فإنك إن أنفذْتَ المال من خزائنهم فقد انتهيت من الأمر وبلغْتَ الغاية، أَفَتُرَاكَ تقدر؟».**(البلوي،د.ت،ص٣٥٧).

استطرد الموفق كلامه وهو يعدد مواطن القوة في **خمارويه،** وأن هذه القوة مرجعها **المال** في المقام الأول، **المال الوفير** الذي يمكنه من تقوية جيشه عدة وعتاد، **فإفقاره** هو السبيل للقضاء عليه، **وزوال** حكمه وسلطانه، مع استغلال **سمته وحب ذاته** وإسرافه المالي علي نفسه المبالغ فيه، **وقال: « وإن خمارويه لشاب في يده المال والجاه، وفي دمه إرث من طباع الأعاجم، فلعله لو كان فارغًا من مشاغل الجهاد أن تهلكه البطالة والشباب والغنى، أو يهلكه السرف وانتهاب اللذات، فنأتيه يومئذ بلا جهد، أما بالحرب فهيهات!».**(العريان، ٢٠١٥م، ص٢٩)، فقال أبو العباس **لأبيه**: «**فسأنفذ إليهم من هذا الباب ومن كل باب حتى تنقضَّ على رءوسهم دولتهم، وسألحق منذ اليوم بجيش إسحاق لحرب خمارويه، فهل أذنت يا أبت؟»، فوافق** الأب علي خروج ابنه **للحرب،** وتمني له التوفيق والرشاد قائلا:**« اذهب يا بُنَيَّ مكلوءًا،؟؟ ولعل الله أن يُبَصِّرَك ويَرُدَّك إليَّ راشدًا موفورًا».(ابن الأثير،١٩٨٢م، ج٦، ص ص ٤٢٨-٤٢٩).**

هكذا،،، أصر الأمير الشاب الغاضب علي الحرب، فلم يكن لتكفيه حكمة والده واصطناع السياسة وقتئذ، **وبدلك القرار ينهي** أبو العباس المعتضد **الطور الأول** من موقفه العدائي ضد الدولة الطولونية ليدخل في طور جديد للمواجهة، وهو **الحرب.**

(ب)- أحداث المواجهة بين الرجلين وصورها:

قُدر للرجلان **أبو العباس و** خمارويه أن يتواجها، ويواجه كلاهما عداء الآخر، واتخذت هذه **المواجهة عدة صور** مباشرة وغير مباشرة، من بينها: الصدام الحربي، والمناورة السياسية، وسوف أعرض لها في ترتيب زمني **علي النحو التالي:**

أ- الصدام الحربي(٢٧٠-٢٧٣هـ/٨٨٣-٨٨٦م):

ترجع مقدمات هذا الصدام الحربي إلي شهر **ذى الحجّة** من سنة٢٧٠ه/٨٨٣م، أول سنوات حكمه، فقد تعجل **أبو العباس** لقاء خمارويه، والاصطدام به حربياً، وبعد جلسة طويلة مع والده، ترك أبو العباس **أباه،** ومضى فلبس **شِكَّتَه.**(رداء الحرب، وما يُحمل أو يُلبس من السلاح؛ مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٣م، ص٣٤٩)، واتخذ أُهْبَتَه لسفر طويل، ذهب وهو يدندن صوتًا في **شعر الهمداني. (**عمرو بن براق بن عمرو بن منبه النهمي،(ت بعد ٦٣٢م)، كان شاعر همدان قبيل الإسلام، وله أخبار في الجاهلية، وكان معروفا بمهابته وسيطرته على الصعاليك، عاش حتى خلافة عمر بن الخطاب(ﷺ)؛**ابن عبد ربه، ١٩٨٤م، ص١٠٧؛ الزركلي، ٢٠٠٢م، ص٦):**

كـــذبتم وبيت الله لا تأخذونها	**مـــراغمة ما دام للسيف قائـــم**
تجمع القلب الذكيّ وصارما	**متى وأنفا حمياً تجتنبك المظالم**
ومنْ يطلبِ المال المُمَنّع بالقَنَا	**يَعِشْ مُثريًا أو تخترِمْه المخارمُ**
وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم .	**فـــهل أنا في ذا يالهمدان ظـــالم**

كأن المعتضد **فرح** بخروجه للحرب، وموقن في النصر علي خمارويه، وقد اختصر حقيقة واقعه في هذه الأبيات، فهو عزيزا على الذل، ولا يمكن للحمي أن يبقى تحت الأقدام، والأمر سواء فحماية المال أو سلبه لا يكون إلا بالقوة، ثم وجه لعدوه نصيحة قائلاً: سوف تعيش ماجداً عزيزاً إن أخذت بنصيحتي وأعددت القوة، ثم يقسم له على أخذ المال الذي امتنع عن دفعه للمعتضد وسيأخذه قهراً.

خرج أبو العباس، ووراءه **بضع مئات** من **غلمانه وجنده** وعليهم السلاح **والزرد.**(الدرع؛ مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٣، ص٢٨٧)، وانطلق إلى **الرَّقَّة.**(بلد في الجزيرة علي الفرات؛ الحموي، ١٩٩٥م،ج٣، ص٦٠)، حيث عسكر **إسحاق.**(محمد بن إسحاق بن كنداج، أمير الموصل؛ الكندي،

١٩٠٨،ج١، ص٢٣٥؛ ابن الأثير،١٨٨٢م، ج٦، ص٤٠٩؛ ابن تغري بردي،١٩٥٢م، ج٣، ص٥٠)، على الشاطئ الشرقي من نهر الفرات في انتظار **مقدَمه**، وعلي الجانب الآخر: عقد خمارويه لوزيره **أبو عبد الله الواسطي.**(البلوي، د.ت، ص ٢٣،ص٣٧)، على جيش كبير، وأخرجه للقاء **إسحاق**، الذي ما كاد يخرج حتى بلغه حين وقف **رسول** من قِبَل **الموفق** في بغداد عليه سواده، وفي يده **كتاب** من الموفق، يدعوه فيه بالولاء **للخلافة العظمي.**(الطبري، د.ت، ج١٠، ص١٢؛ القضاعي ، ١٩٩٥م، ص٥٦٦؛ ابن الأثير، ١٨٨٢م، ج٦، ص٤٣٠)، فما هي إلا **خطرة** فكر حتى **خلع الشعار** وحطم اللواء، واتخذ طريقه مع رسول الموفق إلى بغداد".(الطبري، د.ت، ج١٠، ص١٢).

زحف إسحاق بجيشه يصحبه **ابن أبي الساج.**(محمد ابن أبي الساج، من رجال أحمد بن طولون وأمرائه علي الجزيرة ؛ابن الداية، ١٩١٤م، ص٩١؛ الكندي، ١٩٠٨م، ص٢٣؛ ابن الأثير،١٨٨٢م،ج٦، ص٤٢٩) **وأبو العباس** بن الموفق، فاجتاز الفرات إلى أرض الشام، ولم يلقَ الجيش الفاتح في طريقه كيدًا، **فتسلم قِنسْرِين.(من بلاد الشام؛(الحموي،ج٤، ص ص ٤٠٣-٤٠٤)، والثغور.**(منطقة الحصون التي بنيت على تخوم الشام والجزيرة لصدّ غزوات الروم، **"الثغور الرومية"**، وهي كل موضع قريب من أرض العدو، مهمتها حماية إقليم العواصم الممتد من غارات الأعداء؛(مجمع اللغة العربية،٢٠٠٣م، ص ٨٤)، وأوغل في مملكة بني طولون، فلما بلغ النبأ خمارويه.(المسعودي، د.ت،ج٢، ص١٢٧؛ اليعقوبي، ١٩٤٠م، ج٢، ص٩١)، **عبَّأ جيشه** وخرج للقائهم **في سبعين ألفًا** من المصريين، ولكن **جيش إسحاق** لم *يتلبث* ومضى في طريقة، فما هي إلا جولة وجولة حتى غلب إسحاق على دمشق **ففتحها**، وانحدر إلى فلسطين يطلب عرش مصر أو رأس خمارويه، وأبو العباس بن الموفق على المقدمة **يُغَنِّي** لنفسه في شعر **عدي بن ربيعة المهلهل.**(ت٩٤ق.هـ/٥٣١م)، أبو ليلى، شاعر من أبطال العرب في الجاهلية، من أهل نجد، من بني ربيعة، وخال إمرؤ القيس، قيل: لقب مهلهلا، لأنه أول من هلهل نسج الشعر، أي رققه؛ النويري، ٢٠٠٢م، ج١٥، ص٤٠٤؛ الزركلي،٢٠٠٢م، ج٤، ص ٢٢٠)

سأمضي له قُدْمًا ولو شاب في الذي أَهُمُّ به فيما صنعتُ المقادمُ
مخافةَ قولٍ أن يخالف فعله وأن يهدم العزَّ المُشَيَّدَ هادمُ

في صفر من عام ٢٧١هـ/٨٨٥م، **التقى الجيشان**، ورأى **أبو العباس** وجه خمارويه، ورأى خمارويه وجهه، **واقتتل الرجلان**، فكانت **الوقعة** بينهما في **نهر أبي فطرس** المعروف **بالطواحين**، فاقتتلا فانهزم أصحاب خمارويه، وكانوا في **سبعين ألفا**، أمام **ابن الموفّق** ومعه نحو **أربعة آلاف**، ومضى خمارويه عائداً إلى مصر مهزوماً، ثم حارب **سعد الأيسر** من رجال خمارويه، **أبي العباس.**(الطبري،د.ت، ج١٠، ص١٢؛ابن تغري بردي، ١٩٥٢م، ج٣، ص٥٠) **وهزمه، فخلف** وراءه جنده وأتباعه وما **احتاز** من مغانم، **وفر** على أدباره **وحيدًا يلتمس السلامة**، فما وقف به فرسه حتى **بلغ أبواب دمشق**، لكنها أغلقت أبوابها دونه، **فاستأنف الفرس** عدوه **بفارسه المنهزم**، حتى بلغ ثغر **طرسوس.**(ثغر من ثغور العرب على الحدود الرومية بالقرب من حلب؛ الحموي، ١٩٩٥م، ج٤، ص٢٨)، ولكن المقام لم يَطِبْ للأمير فيها، فقد **ثار به** أهل المدينة، وأَجْلَوْهُ عن ديارهم، فخرج وحيدًا طريدًا، واعتلى ظهر **جواده** وأطلق له العِنان، حتى بلغ **قصر أبيه الموفق** في بغداد بعد غياب **عام ونصف عام** في حرب لم يظفر فيها **بغير الإياب، وأوى** الشاب الثائر إلى بيته **صامتًا مكروبًا**، لا يكاد يجد **مساغًا** للطعام والشراب، ولا **سبيلًا** إلى النوم.(العريان،٢٠١٥م، ص٣٣).

هكذا،،، خرج **الرجلان** من هذا الصدام الحربي، **بنتائج** هامة، أولها وأهمها: زيادة الحقد والعداء بين الطرفين، فقد **هزم** أبو العباس أمام خمارويه، **وتأكد** لخمارويه أن المعتضد **متحفز ضده**، وكله إصرار علي قتاله، ليعيد من جديد سيرة أبيه الموفق مع أحمد ابن طولون في **صورة جديدة** للعداء السياسي بينهما.

مضت فترة،، وتقابل الابن والأب، وبعد أن حمد الله علي سلامة ابنه، **قال** الموفق لولده أبو العباس: « **.. فلا تأسَ?? على ما كان، فإن للدول كما للناس آجالًا« فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون»**.(سورة الأعراف، الأية٣٤)، **وإنما يأتي أجل بني طولون يوم تصفرُ أيديهم من المال، فلا يجد الجند يومئذ لهم رزقًا في دولتهم، ولا يجدون هم في أيديهم من المال ما يرشون به الوزراء ويصطنعون القواد** ».(الطبري، د.ت، ج١٠، ص١٦).

من جديد، ذكر الموفق ابنه **بالحل الأصح** فالحرب لن تجدي بل **اصطناع السياسة** "المناورة، المراوغة"، **فقال أبو العباس: « يا أبَه، فقال أبوه: «اصمت لا أب لك! إنما هي سياسة الدولة، وقد جرَّبْتَ ما جربت حتى رأيت عاقبة أمرك»**.(العريان،٢٠١٥م، ص٣٣)، **فغلى الدم في** رأس أبي العباس، واتخذ سبيله إلى الباب صامتًا، وأبوه ينظر إليه **أَسْوَانَ**.(حزيناً؛ مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٣م، ص ١٨)، دون أي تعليق من كليهما.

أما الخليفة المعتمد،، فكتب **عهد الصلح** لخمارويه عام ٢٧٣هـ، ثم **أوى** إلى قصره راضي النفس، موفور الراحة.(العريان، ٢٠١٥م، ص٣٤)، وفيه، كتب لخمارويه بولايته على مصر والشام جميعه والثغور **ثلاثين سنة؛** وجاء به إلى الشام بعض **خدّام الموفّق** في **شهر رجب،** وعرّفه **الخادم** أنّ الكتاب كتبه **الخليفة المعتمد** وأخوه **الموفّق وابنه، (الثلاثة)** بأيديهم تعظيماً لخمارويه، **فسر** خمارويه بذلك، وعاد إلى مصر في أواخر **رجب لسنة٢٧٣هـ،** وأمر بالدعاء للموفّق.(ابن تغري بردي، ١٩٥٢م، ج٣، ص٥٢).

غير أن عهد الصلح هذا فتح باباً جديداً أمام **الابن** لتزداد كراهيته للبيت الطولوني، فكان لابد أن يفهم مغزاه، وبعد فترة انتهز الفرصة، وقال الشاب لأبيه:« **يا أبه ... أفسح لي صدرك! لست أنكر عليك ما تفعل، ولكني أريد أن أعرف وجهه، وقد صنعت اليوم شيئًا ... أفرأيتك وقد أعطيت خمارويه عهد الصلح، قد أعطيته شيئًا تملكه به أو يملكك؟ وهل هو إلا ثائر قد خرج على مولاه، فليس له إلا السيف أو يثوبَ؟؟ إلى الطاعة والولاء؟**».(**ابن تغري بردي،** ١٩٥٢م، ج٣، ص ص٥٢-٥٣؛ العريان، ٢٠١٥م، ص٣٦).

قال الموفق: « **نعم، وما أراني أعطيته شيئًا أملكه أو يملكني، بل أملك به نفسي وتملك به نفسك، وسيصير إليك أمر هذه الدولة يومًا، فإذا حَزَبَكَ؟؟ يومئذ أمر من أمرك ولم تجد الوسيلة فاعتصم بالأناة وحسن التأني، حتى تُمكِنَ الفرصةُ ويحين الأجل، ولا بد أن يحين**»، فقال الأمير في **ثورة حانقة: « ... لابد أن يحين يوم تصفر يده من المال ... هكذا تقول، وما أرى هذه ستكون يومًا، وأنت تُقْطِعُه كل يوم ملكًا جديدًا، وتُمَكِّن له فيَغْنَى وَيَشْرَه**»؟؟.(العريان، ٢٠١٥م، ص٣٦).

هكذا،، اصطدم الرجلان وكان لخمارويه النصر في النهاية، فبدا لكل ذي عينين أن دولة الخلافة قد **أشرفت على الآخرة،** على حين كان **اسم بني طولون** يتردد صداه قويًّا بين أقطار الدولة الإسلامية.(العريان، ٢٠١٥م، ص٣٦)، ولكن أبو العباس **المعتضد** لم ييأس، وسعي لدي عمه الخليفة "المعتمد" وانتزع منه **تفويضا** بحكم الشام **لينتزعها** من خمارويه، وكان له ما أراد كما يوضح فيما يـــلي...

ب- المناورة السياسية:

ظل المعتضد يفكر كيف يستعيد كبريائه، ويرفع عنه ودار الخلافة، **هزيمته** أمام خمارويه، خاصة بعد التفويض **الخليفتي الذي منح له بالحكم لمدة ثلاثين** سنة قادمة.(الطبري،د.ت، ج١٠، ص١٨)، **فقرر** اللجوء **للمناورة السياسية، فلبس سواده، وقصد** قصر **الخليفة المعتمد،** الذي كان بين **القيان والندمان** كعادته، ودخل **الأمير** فجلس غير بعيد من **عمه، وخلا** لهما المكان.(ابن تغري بردي،١٩٥٢م، ج٣، ص٥٢)، ثم بعد ساعة، **خرج** أبو العباس من حضرة الخليفة، **ومعه عهد خليفتي منه بولايته على الشام**.(العريان، ٢٠١٥م، ص٤٦)، **فراح** يسعى سعيه منذ اليوم **لتأليف جيش يقوده** نحو **الشام** لينتزعها من يد **خمارويه،** ويحطم عرشه، فيوحد الدولة تحت الراية العباسية، بعد ما أوشكت أن تتفرق، **ويثأر من خمارويه لما ناله** في **معركة الطواحين، ويُرِي أباه** أنه ما زال قادراً علي تحقيق النصر وهزيمة خمارويه دون مشقة.(الطبري،د.ت، ج١٠، ص١٨).

(ج)- نتائج المواجهة بين الرجلين في المرحلة الأولي:

ترتب علي **المواجهة الأخيرة** بين الرجلين من مناورة سياسية وصدام حربي بينهما نتائج **كان أهمها:** انتهاء الأمر **بسجن** أبو العباس **المعتضد، بأمر من أبيه، فكيف حدث ذلك؟**

دخل أبو العباس، وجلس بين يدي أبيه، **فقال الموفق** لولده: « **كنت أرسل إليك الساعة لتتهيأ للرحلة في جيشك إلى خراسان وبلاد الجبل.**(الحموي، ١٩٩٥م،ج٢، ص٣٥٠)، **لقد أُنبِئْت أن جيشك على الأُهْبَة، وإنك يا أبا العباس لَأَهْلٌ لما تنتدب له**.(الطبري،د.ت، ج١٠، ص١٨؛ ابن تغري

بردي،١٩٥٢م، ج٣، ص٥٢)، **فإن ابن أبي الساج على الفرات ينتظر المدد؛ ليبلغ من خمارويه بن طولون شفاء نفسه وشفاء نفس الدولة، ولم يبقَ بينه وبين النصر إلا غلوة سهم**»؟؟ .(العريان، ٢٠١٥م، ص٤٧)، ولما **أحس من أبو العباس برغبته** في التوجه للطولونيين، **فقال له:« قد علمتُ، ولكن أمر الطولونية يا بني لم يَحِنْ بعد، وقد دبرْتُ الأمر على ما دعوتك إليه، وما أحسبك تخالف عن أمري"**، فرد الابن**: « لكنَّ غلماني يا أبت قد تهيئوا لغير خراسان**».(العريان، ٢٠١٥م، ص٤٨).

ضاق الموفق لعناد ولده، ثم قال له في وداعة: « **لست أعني أن تبدأ رحلتك اليوم يا بني، وإنما دعوتك لتتهيأ لها، فإذا كان بعد أيام فاغدُ عليَّ، وقد اجتمع لك رأيك**».(العريان، ٢٠١٥م، ص٥٠).

مضت أيام ثم دعاه **أبوه** إليه، فلما مَثَلَ بين يديه، قربه وأدناه وقال: «**أراك اليوم وقد اجتمع لك رأيك، وستكون وجيشك غدًا على طريق خراسان،** فقال أبو العباس: «**لا يا مولاي، سأكون في جيشي قِبَل مشرق الصبح على الطريق إلى الشام** »، **فقال الموفق غاضبًا: «وَيْ: أعصيانًا ومشاقة!؟؟ فو الله لا يكون إلا ما أمرتك**».(ابن تغري بردي، ١٩٥٢م، ج٣، ص٥٢)، **قال أبو العباس:** « **إنما صلاح الدولة أردتُ، وقد ولاني عمي أمير المؤمنين المعتمدُ الشامَ، فلست أخرج إلا إليها، طاعة لأمير المؤمنين، وصلاحًا لأمر الدولة التي أوشك أن يتوزعها أبناء الأعاجم**».(ابن تغري بردي، ١٩٥٢م، ج٣، ص٥٢)، **ثم هب** أبو العباس فاتخذ طريقه إلى الباب، **فثارت ثائرة** الموفق، **وصاح بغلمانه وأمرهم:** « **أن يأخذوا عليه الطريق أو يردوه على وجهه، وصدع غلمانه بما أمر، فلم تمضِ إلا دقائق حتى كان أبو العباس المعتضدُ بنُ الموفَّق سجينًا في غرفة من دار، ليس معه إلا غلام من غلمانه، وقد وكِّلَ به طائفة من الجند**».(العريان، ٢٠١٥م، ص ص ٥٤-٥٥)، **فلماذا يسجن الموفق** ابنه؟ **هل يسجنه** ليمنعه من الوقوع في خطأ أكبر؟!

أجاب الموفق، وقال لما عوتب علي حبسه لابنه:« **إنما هي سياسة الدولة، وقد يظن هذا الغلام أنه مستطيع ببضعة آلاف من غلمانه أن يفرغ من أمر الطولونية، وما أراه إلا ناسيًا ما كان من أمره وأمر خمارويه منذ قريب، أو لا، ولكنه في سبيل طلب الثأر قد غفل عن التدبير، إن خمارويه ليملك من أمر نفسه ما لا نملك من أمر أنفسنا، وإنه ليستطيع ببعض ما في يديه أن يشتري جيش العباسية كله، فماذا تغني القوة والعدد الجمُّ؟**».(العريان، ٢٠١٥م، ص ٥٥)،

لابد من وقفة هنا، ففي هذا القول دلالة علي **حكمة** الموفق وحسن تدبيره وقناعته بوضعه، وحجم الفروق بينه وبين خمارويه، وتحليل جيد لإمكانياته وإمكانيات عدوه، **وفيما يخص الحرب،،،** جاء إسحاق المدد من خمارويه، فعبر النهر وكبس جيش **ابن أبي الساج** كبسة تركته أشلاء في البادية، **وأقام** خمارويه إسحاقُ أميرًا على **الموصل والجزيرة** جميعًا.

مضت سنوات الحبس الأربع تقريبا، **وأظل** الموفق الموت، **وتقابل الابن بأبيه،** وقال أبو العباس وقد خنقته عبرته: «**إنني بخير ما عشتَ يا أبتِ! »** قال الموفَّق باسمًا: « **أرجو أن تظل بخير أبدًا، فلا تجد في نفسك مما كان، فذلك أمر قد انكشفت لك أوائله، ولعلك أن تعرف آخرته عن قريب**".(ابن تغري بردي، ١٩٥٢م، ج٣،ص٥٣)، **ثم استطرد:** « **لقد أبلى أبوك يا بني في هذه الدولة بلاء عظيمًا، حتى أطاع العاصي، وهدأ الثأر، واطمأن النافر، ولم يبقَ إلا هذه الطولونية في المغرب قد زين لها الغنى والحداثة ما زين من الأماني، ولم تخفَ على أبيك من خبرها خافيةٌ منذ كانت، ولكني آثرت أن أصطنع السياسة فيما بيننا من ظاهر المودة، حتى لا تجاهرَ بالعصيان، وهي على خزانة السلطان وفي يدها نصف خراج الدولة ... وقد حمل أبوك العبء كله راضيًا على ما به من جَهد، وعمك الخليفة المعتمد على ما تعرف من أمره، لا يكاد يفيق من نشوته، وقد جعل العهد من بعده لولده جعفر المفوَّض، ثم لأبيك، فلعله حين ينفذ أمر الله أن يُلْهَمَ الخير فيجعل إليك ما كان بيدي من الأمر ويبايع لك**".(البلوي، د.ت، ص٣٥٧؛ العريان،٢٠١٥م، ص٥٨).

ثم وجه لابنه نصيحة أخيرة قبل الوفاة، قائلا: "**فإذا آل إليك هذا الأمر يا بني فلا تعجل على عدوك حتى تستمكن منه، وإذا حزبك يومًا أمر من الأمر ولم تجد الوسيلة، فاحبس نفسك على ما تكره حتى ينقاد لك العصيُّ، فقد حبسك أبوك يومًا وأنت أحب إليه** ".(العريان، ٢٠١٥م، ص٥٨)، وتلك خير نصيحة من الأب للابن، خاصة قبل أن يصل للسلطة ويتولي زمام أمورها.

هكذا،، من خلال هذه النصيحة **رسم الموفق** لابنه **سياسات استراتيجية ينتهجها** حينما يصير إليه الأمر، ومن الواضح أنه كان يوصيه تحديداً **تجاه الطولونيين** فقط تمت الإشارة إلي موقف المعتضد العدائي وتهوره السياسي تجاه الطولونيين فنصحه الأب **بعدة أمور** خلاصة خبرة الأب وتجربته السياسية، **هي:**

الأول: عدم الاندفاع في اتخاذ القرار بقوله: لا تعجل علي عدوك.

الثاني: في حالة اتخاذ القرار كان والده يرشده إلي استشارة أولي الأمر.

الثالث: في حالة الاختيار، اختار الأصعب علي نفسك لكونه شاباً.

أقبل الموفق على ولده ليتم حديثه إليه وموضحاً له أبعاد سياسة البيت الطولوني، وقال: «**وقد قامت سياسة بني طولون على محاولة اصطناع ذوي السلطان في الحضرة بالمال والصهر فلا يخدعنك ما يحاولون معك"** .(العريان،٢٠١٥م، ص٦٩)، **وأضاف: « وأنت يا أبا العباس شاب من همّك النساء والطعام** (المسعودي، د.ت ج٢، ص١٣٨)، **فلا تدع لخمارويه بن طولون أن يقودك من هذا الزمام يوم يصير إليك الأمر، فإن لجواري مصر فتنة»، قال أبو العباس منكرًا: «يا أبَهْ... !».(العريان، ٢٠١٥م، ص٧٠)** ، فقال **الموفق**:« **إنه المزاح يا بني مما فاض على قلبي من السرور برؤيتك راشدًا».**

تضمن هذا القول، النصيحة الرابعة من الموفق لابنه، وهي في اجتهادي أخطرهم، **وتحذير هام** للمعتضد من نهمه الطعام والنساء، فهما أكبر خطرين في نفس المعتضد.

عاش الموفق بعد ذلك اللقاء الأخير أيامًا، ثم توفي.(المسعودي، د.ت، ج٢، ص١٢٩)، وبويع لأبي العباس «**المعتضِد**» من **غده** بولاية العهد مكان أبيه بعد **جعفر المفوَّض.**(وقد خلع من العهد لثمان بقين من المحرم لعام ٢٧٩هـ /٨٩٣م، ومات قبل أن يلي العرش؛**الطبري، د.ت، ج١٠، ص٢٨؛** الكازروني،١٩٧٠م، ص ص١٦٥-١٦٦)، ولكن أبا العباس لم يقنع، ولم **يهدأ** حتى رضي الخليفة بخلع **جعفر**.(ابن الجوزي، ١٩٩٢م، ج١٢، ص٣٠٥) ، **واستقل** أبو العباس المعتضِد بولاية العهد، واجتمع له من السلطان ما لم يجتمع يومًا لأبيه.(الكازروني، ١٩٧٠م، ص ص١٦٥-١٦٦؛ السيوطي، ٢٠٠٤م،٢٦٨).

المرحلة الثانية: " المعتضد خليفة" :

تولي خمارويه بعد **أبيه،** وسار علي نهجه، وتميز بحسن التدبير، لكنه لم يكن في **دهاء** أبيه، فهو لم ينفذ نصيحة والده بشأن معاملة الخلافة لتجنب دسائسها، وصرف وأسرف، وبالغ في إسرافه علي نفسه وما يخصه، وإن بدأ بالإنفاق علي الجند لقوله:« **فرّق في الجند للبَيْعَة رزق سنة تسعمائة ألف دينار (٩٠٠.٠٠٠) باسم أبي الجيش خمارويه ملك مصر وبَرْقة والشام والثغور.**(ابن تغري بردي، ١٩٥٢م، ج٣، ص٥٣)، وأتبع ذلك بأعمال بالغ في الإنفاق والصرف عليها، ومنها: **إنشاء البستان**.(فيه قامت النخيل باسقة قد كسيت أجسامها رقائق النحاس المُذهب، فبدت كأنها أساطين من الذهب قائمة قد غرست فنمت وأثمرت، وتدلى قطافها ياقوتًا أحمر، وقد نثرت الشمس من فروج الشجر على أجنحتها دنانير ذهبية؛ ابن تغري بردي، ١٩٥٢م، ج٣، ص ٥٩)، في **قصره** وأبيه، **وفسقية الزئبق**.(تبلغ خمسين ذراعًا طولًا في خمسين ذراعًا عرضًا، وملأها من الزئبق جاء به وكلاؤه من المغرب وخراسان، لم يبخل عليه بثمن ولم تثقل عليه مئونة، وجعل في أركان بركة الزئبق سِككًا?? من فضة خالصة، وجعل في السكك زنانير??? من حرير محكمة الصنعة، ثم عمل فرشًا من أدَم يُنفَخ بالمنفاخ حتى يمتلئ هواء ويصير حشية من أدم وريح، فإذا انتفخ أُحكِم شده، وأُلْقِي في الفسقية على سطح الزئبق؛ المسعودي، د.ت ،ج٢، ١٣٢).

ودار الذهب.(دارعجيبة لم تشهد لها الدنيا مثيلًا في قصر من قصور الملوك، قد طليت حيطانها كلها بالذهب واللازورد، في أحسن نقش وأبدع زينة، وجعل في حيطانها مقدارَ قامةٍ ونصفٍ صُوَرٌ بارزة من خشب محفور على صورة الأمير وصور حظاياه والمغنيات اللاتي يغنينه، في أحسن تصوير وأبهج تزويق، وجعلت على رءوسهن الأكاليل المرصَّعة من الذهب والجوهر، وفي آذانها الأقراط الثقال، ولُوِّنت أجسامها بأصناف تشبه الثياب من الأصباغ العجيبة. وكان إلى هذا المجلس مغدى الأمير ومَرَاحه كل يوم بين جواريه وحظاياه؛ ابن تغري بردي، ١٩٥٢م، ج٣، ص ٥٩)، لجاريته المقربة **بوران،** وهذا الإسراف في مصر وخارجها.(**ذكر البعض** أن خمارويه لما كان في الموصل، قال لغلمانه: فصنعوا له سريرًا طويل القوائم أثبتوها في قاع النهر، وجعلوا له عرشًا على الماء؛(ابن الأثير، ١٨٨٢م، ج٦،

ص٢٧٥؛ العريان، ٢٠١٥م، ص٤٦) تصل أخباره **للمعتضد** من خلال عيونه في قصر خمارويه، فيفكر فيما وصل إليه ويحاول أن يستفيد منه، مما وصله، ويربط بين ما قاله **والده** وإسراف خمارويه، **فكيف يبدأ في إسقاطه؟**، كيف تواجه الرجلان في هذه المرحلة؟ هو ما **سأعرض له** فيما يلي....

ظن الخليفة **المعتمد.(المسعودي، د.ت، ج٢، ص١٣٢)** أنه **ملك** الأمر كله يوم مات ولي عهده **الموفق**، فإذا **بالمعتضد** قد **سلبه الأمر** كله، ولم يبقَ لأحد إلى جانبه أمر.(ابن الجوزي، ١٩٩٢م، ج١٢، ص٣٢٧؛ الكازروني،١٩٧٠م، ص١٦٧)، ثم **توفي** المعتمد لعشر بقين من رجب سنة ٢٧٩ه/٩٤١م، وبويع **المعتضد** بالخلافة(**٢٧٩-٢٨٩هـ/٩٤١-٩٥١م).(الكندي**،١٩٠٨م، ص٧٣؛ الكازروني، ١٩٧٠م، ص١٦٥)، **فسار على نهج أبيه** في الحزم والعزم، وإقامة العدل، وإقرار الأمن، وإشاعة السلام.(ابن الجوزي، ١٩٩٢م، ج١٢، ص ٣٠٦؛ Lev, Yaacov, 1997, p.35)،

علي الجانب الآخر،، سار البريد إلى خمارويه ووصله أولاً بتولي **المعتضد** ولاية العهد، فتذكر **خمارويه** ما كان من أمر المعتضد منذ **سنين**، يوم التقيا **سيفًا لسيف**، وأراد أن **يأمن منه، فخلا** بوزرائه وأصحاب **مشورته** يبادلهم الرأي فى أمر **المعتضد**، فقال له **مشيره:** « **لا عليك يا مولاي من أمره، إن هو إلا ولي العهد، وإنك لوثيق الصلة بالخليفة، وهو ولي الأمر وصاحب السلطان"**، فاطمأن خمارويه هونًا ما.(الكازروني،١٩٧٠م، ص١٦٧؛ العريان، ٢٠١٥م، ص٧٥)، غير أن البريد لم يلبث أن جاءه من بغداد بوفاة الخليفة المعتمد والبيعة **للمعتضد بالخلافة**، وقد **صار** إليه **كل شيء في** الدولة!.(ابن تغري بردي، ١٩٥٢م، ج٣، ص٥٣)، فتعير حال خمارويه، وتبدلت الأوضاع، **خاصة** لما بلغه ما يعتزمه المعتضد بعد أن مات **أبوه الموفق، وقراره** بأن يجيش الجيوش ليزحف بها إلى مصر، **فقال خمارويه**: «**رحم الله أباه الموفق، كان أذكى، وأوفر حكمة من ابنه المعتضد، فلو طلب منا أن نزيد في خراجه لفعلنا، فما نحن إلا ولاته على الأقاليم، ولكن بما أنه عزم على حربنا، فلا خيار لنا سوى ملاقاته**»!.(ابن تغري بردي، ١٩٥٢م، ج٣، ص٥٣)

قول فيه إشارة لإقرار خمارويه **بالولاية والتبعية** بل **وعدم النزوع** للخروج علي الخلافة العباسية، ويؤكد إذا كان لابد من المواجهة والصدام الحربي فلابد من الاستعداد والتصدي له، وهو بذلك أجده دفع للصدام الحربي دفعا، ولم يكن يريده.

جمع خمارويه قادة جيشه وأمر أبا **عبد الله بن سعد** قائد جنده أن يخرج إلى مشارف العراق، وأن يعرض على **المعتضد**، في أولاً: أن يضاعف له الخراج، **فإن أبى إلا الحرب**، فلا بد من تبديد شمل جيشه، على ألا **يدخل القتال** مقر الخلافة العباسية، إلا بأوامر من خمارويه نفسه!. (ابن تغري بردي، ١٩٥٢م، ج٣، ص٥٣)، مما يفيد أن خمارويه، **وأوامره** لقائده بالتفاوض أولاً، ثم الحرب والرجوع إليه بشأن دخول حاضرة الخلافة قد أكدت علي ولائه واحترامه للخلافة وحاضرتها.

قبل أن يخرج ابن سعد، انفرد بخمارويه محدثا إياه بشأن ابنته **قطر الندى** التي كان قد خطبها منه، **فوعده خيراً**، وقال له: « **دعني أكلم قطر الندى في ذلك، وكذلك استشير أخاها أبا عساكر، وعندما تعود إلينا منصوراً، سننظر في طلبك إن شاء الله**.(وهو في اجتهادي،، تهرب زكي جدا من خمارويه، واصطناع سياسي للقائد)، إلا أن خمارويه لم يكن صادقا في وعده! فخرج أبو عبد الله وهو حزين، بعدم البت في أمر خطوبته من قطر الندى، حتى إذا اقترب من العراق، **ينجح الخليفة المعتضد** في استمالته إليه، بعد أن أقنعه بأن خمارويه يبخل عليه بالزواج من ابنته!، فينضم بجيشه إلى جيش المعتضد، ويجتمع **حقد العاشق** الخائب مع **غل** الخليفة الحاسد وينحدران إلى فلسطين.(ابن تغري بردي، ١٩٥٢م، ج٣، ص٥٣؛ العريان، ٢٠١٥م، ص٧٧).

وجب التنويه إلي أن ما حدث من **ابن سعد**، حينما أعطاه خمارويه صلاحيات التفاوض طمع القائد في أن يكون **صهرا للوالي**، وبذلك ترتفع منزلته من القيادة للإمارة، وقد فطن خمارويه لمأرب قائده ووعده باستشارة العروس ووضع شرطاً أن يعود منتصراً، إلا أن **القائد** لم تنطلي عليه تلك الكلمات، ففكر في الأمرين معاً، وعندما اقترب **القائد** من المعركة، والتقي به الخليفة، فأخبره الخليفة بما دار بينه وبين خمارويه، وأنه لن يزوجه ابنته، وذلك من خلال عيون وجواسيس الخليفة **المبسوسة** في قصر خمارويه، فأدرك القائد مدي سيطرة الخليفة علي الأمر، فانضم إليه **وأثر** مصلحته الشخصية، وهذا يدل علي عدم

صدق حبه للفتاة، وعدم ولائه المطلق لوالدها خمارويه، وإنما كان طلبه مجرد **انتهاز لفرصة،** ليرتقي من **قائد لوالي** إلي أمير، وبقبوله العرض من الخليفة فقد أصبح **من قواده** إلا أنه قد خان سيده!.

ثارت ثائرة خمارويه، بعد أن بلغته أخبار **التحالف** الزاحف لمواجهته في القاهرة! فيقرر الخروج إليهم بنفسه على رأس الجيش، **وأوصي ابنه:**« **أنت مكاني على الناس هنا، فإذا فتح الله علينا عدنا غانمين، سالمين، وإذا شاءت إرادة الله ألا ننتصر، فأنشدك الخير في أهل البلاد يا ولدي، فأهل مصر عون لك في الشدة، وأوصيك بأختك قطر الندى، فهي وردة يانعة، ليس لها من يحميها من الأيدي الطامعة سواك، فلا تسلمها إلا إلى خير الناس، ممن ترضى عنه ولا تزفها إلا لكفء كريم ».(في ذلك إشارة إلي** أن خمارويه أراد الوصية بأهل مصر ، ودلالة علي حرصه الشديد علي تقربه من الرعية، وأهمية دورهم في مساندة الحاكم؛ ابن تغري بردي، ١٩٥٢م، ج٣، ص٥٩).

سأل خمارويه ولده: « أليك ما تريد قوله لي قبل أن أرحل؟»، فرد وسأله ابنه أبو العساكر: « **إن أظفرك الله بالمعتضد، أتمنى ألا يدخلن القاهرة إلا وهو مقيد بالحديد!»،** وهو قول يمثل اندفاع وحماس الشباب، لكن خمارويه يجيبه **بالقول: « كلا يا ولدي.. بل إذا ظفرت بالمعتضد خليفة المسلمين، وأمير المؤمنين، فسأعيده إلى بغداد معززا مكرما، فما يزيل الأحقاد يا ولدي إلا الصفح الجميل، ولا تنس، لولا أنه رفع السلاح علينا، لما بادرنا بحربه، إنه الخليفة».**

هكذا،، تبدو لنا **حكمة خمارويه** والحنكة السياسية واحترام الخلافة وهيبتها، فلو استحل خمارويه الخروج علي الخليفة لاستحلت **الرعية** الخروج عليه، نعادي نعم، نحارب نعم لكن **نهين** المعتضد فلا لأنه كان وسيظل الخليفة، **فالصفح الجميل** لقوله: لم نكن نحاربه لولا انه بادرنا بالحرب، ربما أراد خمارويه أن يفعل ما فعله الرسول(ﷺ) في أهل مكة، ولعله كان يكرم البيت النبوي ممثلاً في الخلافة فهو ليس عربي، ويضمن ولاء العرب له، وقد حذا في ذلك حذو علي بن أبي طالب(ﷺ) تجاه السيدة عائشة(ﷺ) في **موقعة الجمل،** و**هذين الموقفين** المشار إليهما يدلان علي حكمة خمارويه السياسية وتمتعه ببعد النظر التاريخي، كما كان يجيد قراءة التاريخ فيعرف أن لأهل البيت مهابتهم.

دار القتال بين الطرفين، فكانت هزيمة المعتضد ساحقة في المعركة.(النويري، ...، ص ص٢٦-٢٧)، بعد أن وقعت جيوشه كلها في الأسر، لكن **خمارويه** أمر بأن يتم التعامل مع **الخليفة** العباسي بما يليق ومكانته كأمير للمؤمنين.

هذا، وقد ذكر البعض أن خمارويه في عهد الصلح هذا، وعد الخليفة بمضاعفة خراج مصر.**(ورد عند البعض** أنه لما تم الصلح فرض المعتضد شروطه، في مقابل تفويض الحكم الخليفتي، وهو ما سأعرض له عند الحديث عن إستراتيجية المعتضد لمواجهة خمارويه؛(ابن تغري بردي،١٩٥٢م، ج٣، ص ٥٩)، **فكيف ذلك؟!** فقد طلب المعتضد زيادة الخراج من قبل؛ ولعله المعتضد فعل ذلك لما أحسه من كرم أخلاق خمارويه بعد هزيمته منه، ما دفعه بالمطالبة بزيادة الخراج.

أين ابن سعد؟ هل قتل؟ أم عفا عنه خمارويه؟ أم أن زواج **بنت خمارويه** كان **نكاية** في خيانة القائد **ابن سعد،** وتقرب سياسي للخليفة والخلافة العباسية؟!!.

تحرياً للموضوعية كلها تساؤلات الإجابة عليها مرجح حدوثها، مما يدعو للسؤال:

من أين أتي خمارويه بفكرة عرض المصاهرة ؟؟..

علي الرغم من أن مستشاريه بدؤوا بالتهوين والتخفيف، **إلا أن خمارويه** خلا بنفسه وحاول أن يصل لحل، فاهتدي إلى **حل تقليدي اعتيادي** مؤثر لا شك، ولطالما استخدمه أبوه من قبل وهو: المال والهدايا الفخمة، فبعث **إلي المعتضد بهدية مليحة** من طرائف مصر مع الحسين بن عبد الله ابن **منصور الجوهري** .(**ابن الجصاص،** الحسين بن عبد الله ابن منصور الجوهري، أصله من العراق، رجل طموح اقترب من خمارويه، وتمتع لديه بحظوة كبيرة وجعله مدبر أمر زواج ابنته قطر الندي، توفي سنة ٢٩٦ه/ ٩٠٨ م؛ ابن الجوزي،١٩٩٢م، ص٨٧؛ ابن خلكان،١٩٧١م ، ج٣، ص ٧٧)، وطلب إليه أن يقره على **الموصل** إلى ما تحت يده من مصر وبرقة والشام والثغور، وحضرت **المعتضد** الذكرى الماضية، وذكر كلمات أبيه، فبعث إلى خمارويه: «**قد قبلنا هديتك وشكرنا لك، أما الموصل فنحن أدنى إليها يدًا»؟؟؟ .(ابن تغري بردي، ١٩٥٢م، ج٣، ص٥٩) وبدأ** بين الشابين اللذين يليان أمر **المشرق والمغرب،** أنه قد ترك كلًا منهما وليس له فكر إلا في صاحبه.(العريان، ٢٠١٥م، ص٣٦).

جاء الرد علي هدية خمارويه متمثلاً في **أول خطوة إجرائية** من جانب المعتضد ضد خمارويه،، بأن ورد كتاب **المعتضد** على خمارويه لخمس بقين من ربيع الأول سنة **٢٨٠ه/٨٩٤م** بولايته هو **وولده ثلاثين سنة** من الفرات إلى برقة، وجعل إليه **الصلاة والخراج** والقضاء وجميع الأعمال، **على أن** يحمل في كل عام من المال **مئتي ألف** دينار عما مضى، **وثلاث مئة ألف** عن كل عام للمستقبل.(الكندي، ١٩٠٨م، ج١، ص٧٣) ، مما يشير إلي أن خمارويه لم يدفع الخراج كاملاً السنوات الماضية خلال الحروب الدائرة بينهما.

أ- إستراتيجية خمارويه لمواجهة المعتضد:

منذ تولي خمارويه وهو في حرب مستمرة مع دار الخلافة، نحو ثماني سنوات في حرب مستعرة حرب وراءها حرب تستنفذ ماليته والدولة، فقدم خمارويه **الهدية** وطالب بزيادة أملاكه الموصل، فلم يوافق وذكره بالمال المتراكم عليه مند توليه فلم يدفعه من أول سنة فإذا بالمعتضد يرد **ويحكم التخطيط،** ويبدأ في استنزاف خمارويه مادياً **تنفيذاً لوصيه أبيه** وكأنه يدق **أول مسمار** في نعشه، وبهذه الخطوة تبدو للأفق ملامح إستراتيجية مواجهة المعتضد لخمارويه وللموضوعية نعرض للخطة الإستراتيجية عند خمارويه لتكتمل الصورة.

طال حديث خمارويه إلى نفسه، وطال حديثه إلى وزرائه وأصحاب مشورته، وأرِقَ ليالِيَ لا يغمض له جفن، وراح يلتمس هدوء النفس ولكن ذلك كله لم يُجْدِ عليه شيئًا ولم يلهمه الرأي، وألهمته ابنته قطر الندى.(أقرب بنات خمارويه، وممن كان لها معزة خاصة لديه، كان يراها كالوردة اليانعة؛ ابن الساعي، ١٩٥٠م، ص ١٠٥؛ ابن خلكان،١٩٧١م، ج٢، ص ٢٥٠ ؛ الشيخ رضا، ٢٠١٣م، ص ٢٥)، وكانت قطر الندى بنت خمارويه قد كبرت، وبلغت شأوًا، ونضجت عقلًا وأنوثة... واجتمع خمارويه بخاصته وأصحابه فأفضى إليهم بما اجتمع عليه رأيه.(الطبري، د.ت، ج١٠، ص٣٤؛ المسعودي،د.ت، ج٢، ص١٣٨)، فكلهم قد رضيه ورآه صوابًا، وكان في المجلس **أبو عبد الله الحسين بن الجصاص،** وكان قد حظي وبلغ من نفس الأمير منزلة أصحاب المشورة، **وبات** خمارويه على **نية** وأصبح على عمل، **فكيف قابل المعتضد الهدية** وطلب عرض **المصاهرة ؟؟**

ج- إستراتيجية المعتضد وموقفه من كتاب خمارويه:

في شوال من سنة٢٨٠هـ مَثَّلَ ابن الجصاص الجوهري رسول خمارويه صاحب مصر والشام بين يدي **أمير المؤمنين المعتضد**.(المسعودي،د.ت، ج٢، ص١٣٨)، ودفع إليه **كتاب خمارويه، ورجا** أن **يأذن** في قبول هديته، **ففضَّ** أمير المؤمنين غِلاف الكتاب، **وقرأه** حتى أتى على آخره، ثم أطرق يفكر في الأمر، ثم اجتمع من **الغداة** في مجلس الخليفة ببضعة **نفر من خاصته** وأصحاب مشورته؛ فيهم **مؤدبه** أبو بكر القرشي، **وبعض قضاته، ووزيره** عبيد الله بن سليمان، **وصاحب شرطته** بدر المعتضدي، ولم يخلُ المجلس من **بعض نُدمان** الخليفة: وهم: يحيى المنجِّم، وابن حمدون.

بدأ المعتضد الحوار موجها حديثه لمؤدبه: « **من أجل بني طولون اجتمعنا الغداة يا أبا بكر، وقد سمعتم بما جاءني مع ابن الجصاص من هدية خمارويه وكتابه، أما الهدية فقد علمتم خبرها، وأما الكتاب فيسألني القربى، ويخطب ابنته قطر الندى إلى ولدي وولي عهدي علي؛ لتكون آصرةً تربط بين الدولتين**».(الطبري، د.ت، ج١٠، ص٣٥؛ العريان، ٢٠١٥م، ص٦٩).

صمت الجميع وثبتوا في مجالسهم كأن على رءوسهم الطير، ثم أضاف: « **وقلبت الأمر على جوانبه، وبدا لي فيه رأيٌ...** ».(إشارة للحل الذي توصل إليه وهداه إليه تفكيره، وفيه استفادة من نصيحة والده السابقة) **فقال أبو بكر القرشي**: « **فما أحسب إلا أن مولاي قد أجمع رأيه على الإباء، حتى لا يمكن للطولونية في قصره مثل مكانتها في قصر عمه المعتمد على الله**؟»، وقال **أبو حازم القاضي**: « **بل الرأي عندي أن يجيبه مولاي الأمير إلى ما طلب، فيعقد بين الدولتين آصرة تُوَثِّق ما بينهما على التعاون فيما يعود على المسلمين بالخير والمنعة**»، فسأل المعتضد:« **وماترى أنت يا أبا إسحاق؟**»، فأجاب قائلاً: « **يا مولاي، ما أرى خمارويه إلا قد أراد أن يشرُفَ بصهر أمير المؤمنين ويتقي عواديَ الزمن على دولته الناشئة، فهو بهذا الاقتراح على مولاي يفيء إلى الطاعة؟ بعد معصية، ويعتز بمكانته من دولة الخلافة، وما أرى مولاي أمير المؤمنين يريد من ولاته على الأطراف إلا هذين، فهو مشكور على ما قدر ودبر، وأمير المؤمنين أعلى عينًا وأنفذ بصيرة**».(قول مردود عليه،،، فهو وزير

قصير النظر، وأراد ممالئة الرجلين الاثنين خشية أن يتم هذا الأمر، فإن نصح بغير ذلك أصبح عدوا للطولونيين).

رد المعتضد، وهو علي يقين بمرمي خمارويه من عرضه المصاهرة، وقال: **ماذا قلت يا أبا إسحاق؟ يفيء إلى الطاعة بعد معصية، ويعتز بمكانته من دولة الخلافة؟ فأين منك قول أخيه العباس ابن طولون .**(العريان، ٢٠١٥م، ص٧٢):

إن كنتِ سائلة عني وعن خبري .... فها أنا الليث والصِّمْصامة الذَّكَرُ

من آل طولون أصلي إن سألتِ فما .... فوقى لمُفْتَخِرٍ في الجود مفتخرُ؟

رد المعتضد: لا يا أبا إسحاق، فما أظنه إلا قد نظر إلينا بالعين التي كان أبوه ينظر بها إلى بعض مواليه، ويرى كل همهم شهواتهم، فيؤثرهم بخير جواريه؛ ليقيدهم بإحسانه على الطاعة، ويغلبهم على أنفسهم بالمرأة، وإن في آل طولون تسلطًا وإمارة، وأحسبه قد قدَّر أن الخلافة ستصير يومًا إلى ولدي عليّ المكتفي، وهو على ما به من الضعف والعلة، فلعله قصد أن تصير ابنته إلينا؛ لتكون في قصر الخلافة يومئذ أميرة المؤمنين، وتصبح الخلافة طولونية في بغداد، وقد أبيناها لعهد أبيه أن تكون عبَّاسية في مصر!!

قول لا يعبر إلا عن **عنجهية** ابن البيت الطولوني وفخره بأصله ونسبه، وهذا يدلل علي مدي حذر المعتضد من البيت الطولوني وأنه ورث العداء لهم ومنهم منذ أمد بعيد، ثم نظرة الاستعلاء من الطولونيين للعباسيين، وابنه عليل الصحة ضعيف الشخصية، وخشي أن تغلبه قطر الندي وتصبح الآمرة الناهية في قصر الخلافة خاصة وأنها حفيدة أحمد بن طولون.

ابتدر المعتضد قائلًا: « **والله لا يكون لخمارويه شيء مما أمَّل**»، **ودخل غلام الخليفة** يؤذنه بمقدم **ابن الجصاص** رسول خمارويه، فأذن له وظل القوم **جلوسًا**، وقد تعلقت أنظارهم بالخليفة، ينتظرون ما يكون **جوابه**، وقال المعتضد له بعد فترة: « **قل لمولاك إننا قد قبلنا هديته وشكرنا له، وقد أراد أن يتشرف بنا فخطب ابنته إلى ولدنا أبي محمد المكتفي، وإن خمارويه لحقيق بهذا الشرف وزيادة.. أنا أتزوجها**».(المسعودي، د.ت، ج٢، ص١٣٨)، **واستكمالا للخطة،**، أمهرها مبلغ كبير قدر بملايين **الدنانير والدراهم**.(الطبري، د.ت، ج١٠، ص ص ٢٩-٣٠)، وخصص لها قصر منيف.(بلغت تكلفة هدا القصر المسمي **قصر الثريا المشيد** نحو ٤٠٠ ألف دينار ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ١٣٨) في بغداد، ليكون سكناً لها وهو قصر **بوران** زوجة الخليفة المأمون.(بوران بنت الحسن بن سهل، تزوجها الخليفة المأمون لمكان أبيها منه، زفت إليه **بفم الصلح** في رمضان سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٤م، وبقيت بوران عند المأمون إلى أن توفي ٢١٨ هـ وتوفيت هي سنة ٢٧١ه/٨٨٥م، وعمرها ٨٠ سنة؛(ابن الجوزي، ١٩٩٢م، ص ٤٩)، **وجم القوم** من الدهشة، ثم خرجوا من صمتهم حين قال **يحيى بن علي**: « كذلك أنبأتني النجوم، قال أبو بكر القرشي:?? «**اخسأ عليك اللعنة! ولا كانت هذه الساعة التي جلستُ فيها أسمع ما سمعت وأرى ما رأيت! ورحم الله أبا أحمد الموفق، لقد كان أسدَّ وأعفَّ وأضبطَ، والله لا يؤتى بنو العباس إلا من قِبَل نسائهم وبطونهم**».(الطبري، د.ت، ج١٠، ص٣٥؛ العريان، ٢٠١٥م، ص٧٣).

قال المعتضد: « **عفا الله عنك يا أبا بكر، فإني لأرجو أن تحمَد عاقبة هذا الأمر**»، **قال أبو بكر،** وقد همَّ بالقيام: « وعفا عنك يا أمير المؤمنين».

قال المعتضد باسمًا: « فأين تذهب، وإني لأريد أن أجلس إليك ساعة في خلوة؟»، فجلس، و**قال الخليفة**: « **فقد أنكرتَ مني يا أبا بكر بعض ما رأيت، وأنت من أنت حكمة ودُربةً وأصالةَ رأي، فكيف باللهِ يظن بي ولدي عليٌّ، وقد رآني أسبقه إلى عروس لعلها كانت بعض أمنيته، وإنه لشاب حَدَثٌ لم تصقله تجارب الأيام،** قال أبو بكر: «**فكيف تراه يظن بك؟**».(العريان،٢٠١٥م، ص ص٧٣-٧٤).

قال **المعتضد:** «فمن أجل ذلك دعوتك إلى الحديث؛ لتعرف عني فتديره على الرأي».

قال **أبو بكر ضجرًا:** «**هيه!** » قال الخليفة: « **فو الله يا أبا بكر، مالي أَرَبٌ في هذا الزواج، ولا كان من همي، وما يخفى عنك ما بيني وبين خمارويه، ولكني قد أيقنت أنه لم يُرِدْ بهذا الزواج إلا أن يَنْصِبَ لنا شَرَكًا قد اجتمعت أطرافه في يده، فأجمعْتُ أمري على أن أصيده بِشَرَكِهِ**».(العريان،٢٠١٥م، ص٧٤) ، **ومما يدلل** علي هذه النتيجة ما قاله المعتضد لمؤدبه وابنه.(راجع في ملاحق الدراسة، رقم (٢) نص

الحوار الذي دار بين المؤدب الشيخ أبو بكر وعلي المكتفي بن المعتضد) وقال أبو بكر، وقد بلغ منه الضجر مبلغًا: « **وتريدني أيضًا على أن أحمل ولدك على رأي لا أومن به، ولا أعرف وجهه؟**» قال الخليفة:« بل قد عرفتَ، فاذهب مكلوءًا فلعله ينتظرك الساعة لتردَّ إليه الطمأنينة وروح الرضا».

ختاماً،، نجح خمارويه بحسن التخطيط والمشاورة وحسن التفكير الذي طال لليال وأيام ثم **أخفق** لما وقع في الفخ ويمكن أن أقول نجح المعتضد ختاماً، **فلماذا وما هي الأسباب؟!**

وقع خمارويه في الشرك دون أن ينتبه، و**وافق** على زواج ابنته من الخليفة، **وانهمك** في الاستعداد لتجهيز ابنته، **فصرف** وأسرف بل وزاد في الإسراف، **بالغ** في جهازها، وعدد محتوياته وبالغ في متطلبات هذا الزواج حين جعل في كل محطة في طريق سفرها **قصر مجهز** تقيم فيه طلباً للراحة لتواصل من بعدها رحلة السفر، وبالفعل جاء **الجهاز والزفاف** ورحلة السفر إلى دار الخلافة العباسية في **بغداد** أسطورياً بحق دون مبالغة، أفردت له المصادر في ذكر تفاصيله، بالغ حتى نفذ ما أراده الخليفة، فخلت خزائن المال، وخلت مصر من كنوزها، وتحقق مأرب الخليفة وأفلست الدولة وسرعان ما مات خمارويه ومن بعده سقطت الدولة وهوت لغير رجعة.

ثالثاً: عوامل نجاح الخليفة المعتضد في تخطيطه الاستراتيجي:

- **التأني** في التدبير السياسي، خاصة بعد أن دفع نتيجة تعجله بسجنه من قبل والده أربع سنوات.
- **إتباع** سياسية النفس الطويل التي تنطوي في جعبتها علي الصبر مع إعمال الحيلة.
- **الحذق السياسي** في استخدام المكائد لتجنب الصدام العسكري.
- **إتباع** منهج اصطناع السياسة أمر هام ويفوق استخدام الحرب.
- **الالتزام بأن الصرف** والإنفاق بترف وبذخ مطلوب، لكن الإسراف والمبالغة مرفوض.
- **دراسة العدو** ومثالبه أو عيوبه واستغلال نقاط الضعف لديه أمر هام.
- **التحلي بعدم الاندفاع** والتسرع مثلما فعل خمارويه.
- **التحلي بتركيز الانتباه** فلا يقع في **الشرك** المنصوب له.

هكذا،،، خطط الرجلان لبعضهما البعض، فأيهما نجح؟ وأي نتائج ترتبت علي ذلك التخطيط الاستراتيجي والتدبير السياسي؟!

رابعاً: النتائج المترتبة علي إستراتيجية المواجهة عند الرجلين:

دار الخلاف بين الرجلين، **وتحدي** كلاهما الآخر، فنجح أحدهما، لذكائه وكان علي الآخر حتمية تحمل النتائج التي أتت علي دولته وعلي ارث أبيه، وقد ترتب علي هذه المواجهة نتائج سلبية مؤثرة في الدولة الطولونية، **هـــي:**

- **جهز** خمارويه ابنته جهازا فخماً ضخماً **ضاهى** به نعم الخلافة؛ فلم يبق خطيرة ولا طرفة من كل لون وجنس إلا حمله معها.(ابن تغري بردي، ١٩٥٢م، ج٣، ص٥٣؛ العريان،٢٠١٥م، ص ص٨٤-٨٥).
- **أفـرغ جهاز** بالمبالغة فيه **خزائن مملكة** خمارويه، و**مصر** خاصة.
- **استنفدت مظاهر العز** موارد البلاد في مملكة خمارويه، وأرهقت العباد.
- **أطاحت مظاهر العز بحكم أسرة** خمارويه في نهاية الأمر، ولو بعد ذلك بسنوات قليلة، فقد **ذكر** المؤرخون المعاصرون أن **جهاز قطر الندى** كان سبباً من أسباب خراب مصر **وسقوط** الأسرة الطولونية.(ابن تغري بردي، ١٩٥٢م، ج٣، ص٥٣؛ العريان،٢٠١٥م، ص ص٨٤-٨٥).
- **بنى** خمارويه لابنته **قصراً** عند كل مرحلة من مراحل الطريق فيما بين مصر والعراق، **يضاهى** كل منها قصر الطولونيين في القطائع، مما شكل مظهرا من مظاهر الإسراف واستنزاف الموارد المالية.

- **وصلت** الأميرة قطر الندي، بنت الحاكم **المسرف**، إلى بغداد في شهر المحرم سنة ٢٨٢ه/ ٨٩٦م، وهناك تم زفافها إلى الخليفة العباسي المعتضد بالله، ولم يمضي عشر أعوام علي زفافها إلا وقد تمكن العباسيون من هدفهم بإسقاط البيت الطولوني واسترداد مصر درة تاج الخلافة العباسية.

وبعد،،، هل وجد بين الرجلين أوجه تشابه واختلاف؟

خامساً: أوجـــه التشابه والاختلاف بين الرجلين:

أوضحت التجربة وصور المواجهة عند الرجلين، أنهما قد تشابها في عدة أمور، واختلفا في أخري، فما أكثر هده الأوجه المتشابهة والمختلفة، وسوف أعرض لها علي **النحو التالي:**

أ- أوجه التشابه بين الرجلين:

تمثلت أوجه التشابه في :

- **تشابه** الرجلان في كونهما من أبوين يمتازان بالدهاء السياسي **والحنكة**، فالموفق وابن طولون كلاهما كان في غاية الذكاء، وعنهما ورثا الشابان الحنكة السياسية.
- **تشابه** الرجلان في كون أمهما **جارية "أم ولد"**، فالجارية أم ضرار أم المعتضد.(أو صواب أو خفير، جارية ولي العهد العباسي الأمير الموفق بالله، وحظيته، ولدت له ابنه الخليفة العباسي أحمد المعتضد بالله في سنة ٢٤٢هـ/م، كانت كثيرة البر لمواليها، ولم تدرك خلافة ابنها فقد توفيت قبل وصوله الخلافة بفترة يسيرة، وقيل أنها توفيت قبل توليه بستة أيام في الرابع عسر من رجب سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م، ودفنت بترب الرصافة حيث يدفن خلفاء بني العباس وأبنائهم ونسائهم؛ابن الساعي، ....، ص ١٠٤)، والجارية **مياس** أم خمارويه.(أهدي الخليفة **المستعين بالله**(٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م) أحمد بن طولون جارية تسمى **مياس**، فكانت بارعة الجمال أخذت بلبه وسيطرت علي جنانه ووقعت في قلبه موقعا دفعه إلي الزواج بها، وأنجبت له خمارويه؛ الذي شب في كنف والده حيث أبدي الفتي نباهة جعلت والده يتعلق لاسيما انه ابن محبوبته فأرا د أن ينشئه تنشئة عسكرية فأظهر خمارويه شجاعة جعلت والده يشركه في قيادة الجيش ولكثرة ينسيه قيادته للجيش لقب بابو الجيوش ، ونطرا لمهارته العسكرية ولشغف أحمد بمياس والدة خمارويه أطلق يده في التدليل والإنفاق فهو قائده وساعده في حربه، ومن واجب القائد أن ينفذ له كل أوامره في الرفاهية لأنه يجده عند الشدة، هدا ما نشأ أحمد ابن طولون عليه خمارويه. من أم أبي العباس غيرة حريم هام ؛(ابن الساعي، ١٩٥٠م، ص ١٠٤؛ البلوي، د.ت طولون، ص ٣٩).
- **تشابه** الرجلان في **النشأة** فيما قبل تولي سلطة الحكم فكلاهما **مترف مدلل** من أبيه.
- **تشابه** كلاهما في **وراثة الموقف العدائي** عن والده، وإن زاد مقداره عند المعتضد بسبب الصدام الحربي بينهما في وقعة الطواحين وغيرها.
- **تشابه** كلاهما في تولي سلطة الحكم شاباً فقد ولي المعتضد الخلافة وقد جاوز منتصف العقد الثالث من عمره، أما خمارويه فتولي الحكم وهو في العقد الثاني من عمره.(المسعودي، د.ت، ج٢،ص١٣٥؛ السيوطي، ٢٠٠٤م، ص٦٨).
- **تشابه** كلاهما في تولى قيادة جيش الدولة، في سن مبكرة، فبينما تولي المعتضد قيادة الجيش في الثلاثين من عمره ، بينما كان لخمارويه السبق و**تولاها خمارويه** وهو **دون العشرين** من عمره، فالمعتضد يكبره قليلاً والفرق بينهم ٨ سنوات.
- **تشابه** الرجلان في كون كلاهما كانت له **هيبة وسطوة** مع جنده، فقد وصف المؤرخون الخليفة المعتضد بالله بأنه كان حازمًا مع قواده، شديد الوطأة عليهم، إذا غضب على واحد منهم أمر بإلقائه في حفرة وردم عليه، سمي خمارويه بأبي الجيش لأنه ملك مصر والشام والثغور بعد موت أبيه بمبايعة الجند له، وكان مهيباً **ذا سطوة**.(ابن الجوزي،١٩٩٢مج٥، ص٦٥٥).
- **تشابه الرجلان** في **سياستهما للرعية الرعية**، فبينما كان المعتضد كان عادلاً مع رعيته، فقد دفع عنهم الظلم وأسقط عنهم المكوس والضرائب، وأبطل ديوان المواريث، وكان أصحاب التركات يلقون منه عنتًا، وأمر برد ما يفضل من سهام المواريث على ذوي الأرحام، أما خمارويه فكان

مترفا لنفسه وازدهرت الدولة الطولونية في عهده، وعُرف عنه ترفه وإنفاقه وبذخه و علي الرغم من دلك استفادت الرعية منه، وكان حريصا علي رعايتها.**(المسعودي،د.ت، ج٢، ١٣٧)، تشابه** الرجلان في أن كلاهما **لم ينفرد بالقرار** واستمعا لمستشاريهم من الوزراء والسياسيين المقربين. كان لكليهما مستشارين

- **تشابه** الرجلان في كونهما مخططين فوضعا كلا منهما خطة إستراتيجية للقضاء علي الآخر،،،، فقد لجأ للتخطيط الاستراتيجي لمواجهة كلاهما للآخر.
- **تشابه** الرجلان في أن إستراتيجية المواجهة ارتكزت علي المال، كعصب لخطتيهما. علي الاقتصاد والمال، فكلاهما اتخذ من المال وسيلة للإيقاع بعدوه.
- **تشابه** كلاهما في التمسك **وقوة درجة الإصرار** علي تحقيق هدفه ومواجهة عدوه، وهو ما يعرف بسياسة النفس الطويل... ولم يتخليا عن ذلك.
- **تشابه** الرجلان في مدة حكم كلهما تقريباً، فالخليفة حكم **عشر** سنوات، أما خمارويه فحكم مدة **اثني عشر** سنة.
- **لله در من قال، متصنع الود أقبح من صريح العداء،** فكلا الرجلين أظهرا الود تجاه الآخر وبالغ في تقديم الهدايا والرد عليها، وأبطنا العداء والحقد، وألقت ضرورات السياسة قناعًا على ما بين الرجلين من عداوة إلى حين، ولكنَّ كليهما كان يعلم أين مكانه من صاحبه على التحديد، كما كان الحال بين **أبويهما من قبل**.(ابن تغري بردي، ١٩٥٢م، ج٣، ص٥٣).
- **تشابه** الرجلان في كونهما نجحا في كسب الناس من حولهما وكسب ودهم وولاءهم، واستقطبوهما، وإن كان المعتضد ملكهم باستخدام هيبته الدينية في الهيمنة علي نفوس البشر فإن خمارويه ملك قلوب من حوله بالمال، كما كان **خمارويه** يجيد سياسة تأليف القلوب بالمال عملا بالآية القرآنية "المؤلفة قلوبهم".(القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية رقم٦٠)، فكان أول من استخدمها في الإسلام الرسول الكريم(ﷺ) بعد غزوة حنين عام ٩هـ/٦٣٠م، ولعل خمارويه كان حكيماً وحفيصاً في هذا الأمر، وفطن لأن هناك نوع من النفوس يشتري بالمال.
- **رغب كلاهما** في وقوع زفاف أسطوري ولا تزال تتردد أصداؤه في التراث الشعبي المصري حتى الآن، حيث إنه استمر عدة أشهر، ويعد من أطول احتفالات الزفاف في التاريخ. وهو حفل الزفاف الذي استنزف موارد الدولة الطولونية وعجل بنهايتها.

ب: أوجه الاختلاف بين الرجلين:

تمثلت أوجه الاختلاف بينهما في

- **نشأ** كلاهما في ترف زائد وفي حين **التزم** المعتضد **الجدية** ولم يصل به العشق للإسراف، فعشقه خمارويه وتمادي فيه لدرجة الإسراف.
- **اختلف** الرجلان في تاريخ **وصول الحكم،** فقد سبق خمارويه في تولي الحكم بنحو عشر سنوات فقد تولي هو ٢٧٠هـ/٨٨٢م، وتولي المعتضد في ٢٧٩هـ/٨٩١م.
- **التزم** المعتضد بنصيحة والده السياسية وإن تأخر في تنفيذها، بينما **أخفق خمارويه حينما لم يستمع** لنصيحة والده قبل وفاته، وهي المتعلقة بسياسة المصانعة مع دار الخلافة، وعدم تأخير دفع الخراج لها حين قال:" **فلا تؤخرها عنه ولا تقطعها ولو أعيتك الحروب وواصلتك، فلا تغفل حملها وما يقاومها"**.(البلوي،د.ت، ص ص٣٥٨-٣٥٩).
- **اختلف** الرجلان في **هدف** إستراتيجية المواجهة، فقد خطط خمارويه ليأمن شر كيد الخلافة، أما المعتضد فأراد بخطته إبعاد صلة الخلافة بالبيت الطولوني مستقبلاً.
- **بادر** خمارويه وتعجل بتقديم فكرته في حين تأني المعتضد فاستقبلها وعدلها لصالحه.
- **تميزت** خطة المعتضد بالأناة والتعديل أما خطة خمارويه، **فتميزت بالاعتيادية والتقليد،** لأنه **نحي** نهج من سبقه فقد سبق إلي ذلك الحسن بن سهل عندما زوج ابنته **بوران للمأمون**.(ابن

خلكان،١٩٧١م، ج١، ص٢٨٧)، في حين استمع المعتضد ونفذها، حتى لو استغرق الأمر منه سنوات.

- **أخطا ظن خمارويه في المعتضد، حينما قلل** من شأن المعتضد بقوله أن الموفق كان أكثر دهاء من ابنه، غير أن المعتضد فاجئه بتأنيه وحسن التدبير.
- **أراد** خمارويه أن يزوج ابنته لابن الخليفة حتى يكون سبطه يوماً ما الخليفة إلا أن **المعتضد** فطن لذلك ورد علي حامل كتاب خمارويه: **" إنما أراد أن يتشرف بنا وأنا أزيد في تشريفه أنا أتزوجها"**، فتزوجها هو حتى تكون الخلافة لابنه الأكبر وإن أنجب منها سيكون ابنها **سبط خمارويه** مجرد أمير وليس **خليفة**، ومن هنا يتضح **ذكائه السياسي** من جعل السبط أميرا عاديا وليس خليفة للمسلمين أجمع.
- **تميزت** وسيلة خمارويه بكونها وسيلة **موروثة** عن والده الذي طالما استخدمها ونجح وكسب من وراءها.
- **تميزت** خطة المعتضد بكونها **مبتكرة** من بنات أفكاره موظفا إياها لتحقيق هدفه البعيد الذي يرمي لإسقاط البيت الطولوني.
- قدم **المعتضد** مهراً كبيراً قدر **بآلاف الآلاف** من الدنانير والدراهم، وخصص لها **قصر منيف** في بغداد ونقل العاصمة، فكان كالفخ المنصوب لخمارويه، ووقع فيه دون أن ينتبه. نصب خمارويه السرك للمعتضد الا ان المعتضد أوقعه في سكركه.
- **تعمد** المعتضد **إثقال كاهل خمارويه** بتكاليف عرس الزواج، وبدلاً من أن يقع هو في الفخ أوقع خمارويه فيه.
- **لم يبذل** المعتضد جهداً في التخطيط للتخلص من خمارويه، فقد استغل الفرصة وما قدمه له خمارويه.
- **تميزت** خطة المعتضد بالتأني وحسن البصيرة ، واستغلال ما قدم له وما ورد إليه من معلومات عن عيوب خمارويه من خلال عيونه ودسائسه.
- **فاق ذكاء** المعتضد ذكاء خمارويه، ولله در الشاعر في قوله عن الذكاء:

شهم الفؤادِ ذكاؤه ما مِثْلُهُ عند العزيمةِ في الأَنامِ ذَكاءُ

وقد انطبق هذا الشعر علي شخصية الخليفة المعتضد الذي استمع إلى نصيحة والده السياسية وأخذ بالمشورة في حكمه والتاني قبل اتخاذ القرار واتسم بالحيطة.

- **عشق** خمارويه الترف فأضعفه وصار عيباً استغله المعتضد ، ووقع خمارويه في الفخ.
- **اختلف** الرجلان وتواجها فاختلفا وحتما نتج عن المواجهة انتصار الاول وهزيمة الاخر. في مقدار النتيجة فواحد هزم أكثر من مرة، والآخر انتصر.
- **تميز** المعتضد عن خمارويه بكونه رجلاً مثقف واسع الاطلاع يحفظ أشعار الجاهلية، في حين كان خمارويه عسكرياً متميزاً يعرف قدر أوزان الرجال، وليس كأخيه العباس بن طولون الشاعر، وإن كان مهتما بالتاريخ والاستفادة من قراءة سير الأقدمين، وفي مقدمتهم الرسول كما سبقت الإشارة.
- في سبيل مواجهة العداء، لقي المعتضد أكثر من هزيمة، وتشريد، وحبس لسنوات بأمر من أبيه.

وبعد،،، فقد كان لأوجه التشابه والاختلاف أثر في إدارة استراتيجيات المواجهة للسياسة العدائية بين الرجلين أدت في النهاية إلي انتصار الخلافة العباسية في شخص المعتضد والقضاء علي طموح الوالي خمارويه، وقد أتت المواجهة ثمارها بأن حققت الخلافة هدفها علي بسط نفوذها علي مصر وتحويلها إلى مجرد ولاية بدلا من كونها دولة وإمارة مستقلة.

الخاتمة:

تعادي الرجلان، وخطط كلاهما للآخر، وتنوعت أساليب مواجهة كلاهما للآخر، فنجح واحداً وأخفق الآخر، بالفعل كان خمارويه من أحسن الناس خطاً، وكان شجاعاً حازماً، ولكن كان فيه ميل إلى اللهو، وزاد في حبه لنفسه فوقع في الشرك، وكان المعتضد متأنياً حازماً مدبراً، عنيداً مصرا علي تحقيق ، وتداعت الدولة الطولونية للسقوط، وسقطت بعد ذلك بقليل وفي رثاءها، قال الشاعر**إسماعيل بن أبي هاشم**.(**الكندي، .... ، ص٧٣؛ محمد كامل حسين، د.ت، ، ف٣، ص٥٥):**

يا منزلا لبني طولون قد دثرا سقاك صوب الغوادي القطر والمطرا
يا منزلا صرت أجفوه وأهجره وكان يعدل عندي السمع والبصرا
بالله عندك علم من أحبتنا أم هل سمعت لهم من بعدنا خبرا

- **نتائج الدراسة:**

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج هامة، **هـــي:**

- **تمكن** ابن طولون باصطناع السياسة واستغلال ذكائه من أن يقيم دولة يورثها لأبنائه.
- **شكل** ضعف الخليفة العباسي المعتمد وانصرافه عن الحكم، سبباً في تخليه عن نفوذه وارتضاءه **استقلال** الدولة الطولونية.
- **لم يرتض** ولي العهد **الموفق** طلحة قيام الدولة الطولونية، وظل **يناهضها** ويدبر لها من المكائد وسياسات التأليب، والمؤامرات لتنهار فتسقط ولا تقوم لها قائمة.
- **سعي** الموفق وبمثابرة تجديد شباب الخلافة العباسية واستعادة هيبتها طوال عصر ابن طولون وبعد وفاته.
- **شب ابن الموفق، الملقب لاحقا بـ "المعتضد"** على كراهية آل البيت الطولوني لعصيانهم وتجرؤهم علي هيبة الخلافة العباسية، وكان كأبيه رافضا لهم وكارها لاستمرار دولتهم.
- **الاقتصاد** يلوي ذراع السياسة ليا.
- **نقل** الموفق وهو **السياسي المخضرم،** الذي صال وجال واختبر الحياة، وتعلم منها، خبرة السنين ومفادها **الحل الاقتصادي**.
- **ورث** خمارويه عن أبيه دولة **قوية ثرية، واستراتيجية** سياسية في مصانعة دار الخلافة العباسية والتعامل معها.
- **أسرف** خمارويه في كل شيء وأغدق الأموال في كل سبيل، وقد خص القاسم بن يحيى بن معاوية المريمي شعره في مدح خمارويه، وقال فيه كل مدائحه حتى سُئِل مرة أن يرحل عن مصر فقال:

وكيف رحيلي عن بلاد غدا بها أبو الجيش والنيل الذي ملا الأرضا

- **أسرف** خمارويه علي شئونه الخاصة، **وقصر** في خراج الخلافة مما أثار غضبها وبدأت في مناوئته.
- **أسرف** خمارويه فوصل ذلك للخليفة المعتضد وأراد استغلال هذا العيب، تنفيذا لوصية والده بإفقار الطولونيين.
- **اشترك** الشابان الرجلان حاكمي المشرق والمغرب، **بالدهاء** السياسي والتدبير السياسي كل منهما للآخر، ولكن ما ثبت بالتجربة الفعلية هو تفوق المعتضد بحسن تخطيطه وتأنيه على خمارويه.
- **استغل** المعتضد عيب خمارويه ونصب له الشرك من نفس عينة شركه هو ووقع فيه خمارويه.
- **بحث** المعتضد عن الفرصة والطريقة فقدمها له خمارويه وهو متصور انه ينصب له الفخ والشرك.
- **جاء** الشرك عند خمارويه من استشارة وزرائه في حين كان فكرة مختمرة في عقل المعتضد نتيجة لوصية والده الموفق.

- **مرت** الاستراتيجيات المستخدمة عند الرجلين بمراحل عدة، وتنوعت ما بين صدام حربي ومناورات وتدبير سياسي.
- **ختم** خمارويه حياته ضائق النفس ولعه يرجع لطول الحروب، وإثارة المنغصات له والمؤامرات السياسية.

ملحق (١)
وصية أحمد بن طولون لابنه خمارويه[1]

وصية ابن طولون لابنه أبي الجيش

قال نسيم : فلما كان من غد خطاب مولاي للواسطي وما وصاه به ، أحضره وأحضر محمد بن أبّا وطبارجي وجماعة من وجوه خاصته وقواده ووجوه دولته و كتابه فأحضر أبا الجيش فقال له : يا بني إني لم أدفع الحنث في يمين البيعة إلا بما كنت أحمله إلى أمير المؤمنين المعتمد خاصة ، وهو مائة ألف دينار في كل سنة . ذكر لي فيما كاتبني به أنها تكفيه . فكان حملي هذا المال يقينا الحنث في يمين البيعة بيعته ، فلا تؤخرها عنه ولا تقطعها ، ولو أعيتك الحروب وواصلتك ، فلا تغفل حملها وما يقاومها ، فإنك تدفع بها حنث هذا الجيش بأسره في يمين البيعة ، وتشرح بها صدورهم في قتال من قصدك ، ممن قهر الخليفة ومنعه أمره و تصرفه في إنفاذ حكمه ، وجميع أمره ، والله يكرمه يكفيه

[قال أبو جعفر] محمد بن عبد كان : إن أبا الجيش لم يزل يحمل هذا المال إلى المعتمد حتى تقلد إسماعيل بن بُلبل الوزارة فأوقع الصلح بينه وبين الموفق .

[1]) البلوي، سيرة ابن طولون ، ص٣٣٨.(

ملحق (٢)

نص الحوار بين المؤدب مع المكتفي على بعد قرار المعتضد بالزواج من قطر الندى:

نهض الشيخ متثاقلًا، وذهب للابن،،، وكان الفتى وحيدًا في بيته، وقال الشيخ باسمًا: «فيم كانت تحدثك نفسك يا بنيَّ حين ألقت حجابًا بينك وبين الطارق المَشُوق إليك فلم تأذن له حتى أذن لنفسه؟»

قال الفتى، وقد اصطنع الهدوء وانفرجت شفتاه عن ابتسامة تشبه أن تكون عبوسًا: « لا إذن عليك يا عم، إنما كنت أفكر في الأمر الذي قعد بك حتى الساعة عن مجلسي، وإني لفي انتظار مقدمك».

قال الشيخ، وقد وجد بابًا إلى الحديث: « فإني قادم الساعة من حضرة أمير المؤمنين، وقد شهدت من أمره أمرًا، آمل أن ينتهي قريبًا إلى عاقبته».

قال الفتى: « ماذا؟»

قال أبو بكر: « إن أباك يا بني داهٍ لا يُسْبَرُ غَوْرُهُ،؟؟ وإني لأرجو أن يقيم الله به عمود الدولة من مَيْل، وقد أجمع اليوم على خطة لعلها أن تكون سبيلًا إلى شد أزر الدولة وتوحيد كلمتها.»

قال الفتى: «وما ذاك ياعمِّ؟».

وكأنما **أحس الشيخ** أنه قد استنفد كل ما في طاقته من ذخر، حتى لا يكاد يجد جوابًا عن سؤال الشاب المِلحاح، وخشي أن يفلت من يده زمامه، فأسرع إلى الجواب مرتجلًا:

« لقد تأذَّن ربك أن يديل للدولة؟؟ من بني طولون، فألهم أباك أمرًا يسرع بهم إلى الخاتمة.» قال الفتى، وقد عادت ابتسامته العابسة: « تعني زواجه قطر الندى؟».

قال الشيخ، وكاد يَغَصُّ بريقه: « نعم»، وصمت برهة ثم استدرك كأنما أوحيَ إليه الابن، وقال:

« نعم، وسيكون هذا الزواج سببًا إلى فقر الطولونية فتدول دولتهم، فإنما يستند سلطانهم أول ما يستند إلى المال، فإذا أقفرت منه خزائنهم فقد انهار ذلك السلطان».

وضحك الشيخ ضحكة عميقة كأنما سخر من نفسه إذ غابت عنه هذه الحقيقة فلم ينتبه إليها إلا وقد جرت على لسانه من غير تفكير ولا وعي، وثابَتْ نَفْسُه إلى الطمأنينة والرضا، فقال وفي **صوته هدوء الإيمان:« الحمد لله، لقد آمنت أن دولة بني العباس لم تَعْقَم».**

قال عليٌّ بن المعتضد: « الحمد لله ». **(العريان، ٢٠١٥م، ص٧٥).**

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر العربية المطبوعة:

ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم، (١٨٨٢م)، الكامل في التاريخ، القاهرة، المطبعة الأزهرية.

البلوي، أبو محمد عبدالله بن محمد بن عمير بن محفوظ المديني،(د.ت)، سيرة أحمد بن طولون، حققها وعلق عليها: محمد كرد علي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري،(١٩٨٥م)، ثمار القلوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي،(١٩٩٢م) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

الحموي: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي،(١٩٩٥م)، معجم البلدان، بيروت، لبنان، دار صادر.

ابن خلكان: أبو العباس، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، (١٩٧١م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، لبنان، دار صادر.

ابن الداية، أبو جعفر، أحمد بن يوسف الكاتب، (١٩١٤م)، المكافأة وحسن العقبي، حققه: محمود محمد شاكر، مصر، المكتبة الأدبية.

القاضي الرشيد بن الزبير، (١٩٥٩م)،كتاب الذخائر والتحف تحقيق: محمد حميد الله، الكويت، طبعة التراث العربى.

الزبير بن بكار: الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي،(١٩٩٦م)، الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

ابن الساعي، تاج الدين، علي بن أنجب بن عثمان بن عبدالله الساعاتي، (١٩٥٠م)، نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق: د.مصطفى جواد، مصر، طبعة دار المعارف.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان السيوطي،(٢٠٠٤م)، تاريخ الخلفاء، المحقق: حمدي الدمرداش، القاهرة، مكتبة نزار مصطفى الباز.

الطبري، محمد بن جرير الطبري،(د.ت)، تاريخ الرسل والملوك،" تاريخ الطبري"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف.

ابن عبد ربه، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم، (١٩٨٤م)، العقد الفريد، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية .

القضاعي : القاضي محمد بن سلامه بن عفر السافعي، ابو عبدالله القضاعي،(١٩٩٥م)، تـاريخ القضاعي"عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف"، تحقيق جميل عبدالله محمد المصري، مكة، السعودية، مركز البحوث وإحياء التراث الإسلامي.

الكازروني، الشيخ ظهير الدين علي محمد الكازروني، (١٩٧٠م)، مختصر التاريخ من أول الزمان إلي منتهي دولة بني العباس، حققه حققه وعلق عليه د.مصطفي جواد، وضع فهارسه سالم الآلوسي، بغداد، العراق، ١٩٧٠م، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (١٩٨٦م)، البداية والنهاية، القاهرة، دار الفكر.

الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري؛(١٩٠٨م)، الولاة وكتاب القضاة، صححه فن جست، بيروت، لبنان، مطابع الآباء اليسوعيين.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي،(د.ت)، التنبيه والإشراف، ، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة، دار الصاوي.

.....، مروج الذهب ومعادن الجوهر،(د.ت)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، نهاية الأرب في فنون الأدب، (٢٠٠٢م)، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب،(١٩٤٠م)، تاريخ اليعقوبي، النجف، العراق، مطبعة الغري.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

حسين، محمد كامل، أدب مصر الإسلامية،(د.ت)، عصر الولاة، القاهرة، مؤسسة هنداوي.

رضا، أميرة الشيخ، الفاطميون (تاريخهم وآثارهم في مصر(٢٠١٣م)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

الزركلي، خير الدين، الأعلام، (٢٠٠٢م)، بيروت، لبنان، الطبعة ١٥، دار العلم للملايين.

العربية، مجمع اللغة، (٢٠٠٣م)، المعجم الوجيز، القاهرة.

العريان، محمد سعيد، (٢٠١٥م)، قطر الندي، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

محمود، حسن أحمد، حضارة مصر الإسلامية في العصر الطولوني(د.ت)، القاهرة، دار الفكر العربي.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

The Encyclopedia of Islam,(1986), New Edition, Volume 1, Leiden, Brill,

Lev, Yaacov, (1997), War and society in the eastern Mediterranean, 7th-15th centuries, Brill.

Stanly Lane –poole , (1901), history of Egypt in the middle ages, London.

Sources and references:

First: The Arabic source:

Ibn al-Atheer, Ali ibn Muhammad ibn Abd al-Karim, (1882 AD), al-Kamil fi al-Tarikh, Cairo, Al-Azhar Press.

Al-**Balawi**, Abu Muhammad Abdullah bin Muhammad bin Omair bin Mahfouz Al-Madini, (W.D), the biography of Ahmed bin Tulun, edited and commented on by: Muhammad Kurd Ali, Cairo, Religious Culture Library.

Al-Thaalbi, Abu Mansour Abdul-Malik bin Muhammad bin Ismail Al-Thaalbi Al-Nisaburi, (1985 AD), Fruits of the Hearts, investigated by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Cairo, Dar Al-Maaref.

Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abdul Rahman bin Ali bin Muhammad al-Jawzi, (1992 AD) The Regular in the History of Nations and Kings, investigated by: Muhammad Abdul Qadir Atta, Mustafa Abdul Qadir Atta, Beirut, Lebanon, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Al-Hamawi: Abu Abdullah Yaqout bin Abdullah Al-Hamwi, (1995 AD), Dictionary of Countries, Beirut, Lebanon, Dar Sader.

Ibn Khalkan, The Deaths of Notables and the News of the Sons of Time, (1978), achieved by Ihsan Abbas, Beirut ,Dar Sader.

Ibn al-Daya, Abu Jaafar, Ahmed bin Youssef al-Katib, (1914 AD), the reward and Hassan al-Uqbi, achieved by: Mahmoud Muhammad Shaker, Egypt, Literary Library.

Judge Al-Rasheed Bin Al-Zubair, (1959 AD), Book of Ammunitions and Antiques, Investigation: Muhammad Hamid Allah, Kuwait, Arab Heritage Edition.

Al-Zubair bin Bakkar: Al-Zubair bin Bakar bin Abdullah Al-Qurashi Al-Asadi Al-Makki, (1996 AD), Al-Akhbar Al-Muwafaqit, investigated by: Sami Makki Al-Ani, Alam Al-Kutub, Beirut, Lebanon.

Ibn al-Sa'i, Taj al-Din, Ali bin Anjab bin Othman bin Abdullah al-Saati, (1950 AD), the women of the caliphs named the directions of the caliph imams among the free women and slaves, achieved by: Dr. Mustafa Jawad, Egypt, Dar al-Maaref edition.

Al-Suyuti, Jalal Al-Din Abdul Rahman bin Muhammad bin Othman Al-Suyuti, (2004 AD), The History of the Caliphs, Investigator: Hamdi Al-Demerdash, Cairo, Nizar Mustafa Al-Baz Library.

Al-Tabari, Muhammad bin Jarir Al-Tabari, (W.D), History of the Messengers and Kings, "Tarikh Al-Tabari", investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Cairo, Dar Al-Maaref.

Ibn Abd Rabbo, Abu Omar, Shihab al-Din Ahmed Ibn Muhammad Ibn Abd Rabbo Ibn Habib Ibn Hadair Ibn Salem, (1984 AD), The Unique Contract, Beirut, Lebanon, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Al-Quda'i: Judge Muhammad bin Salama bin Afar Al-Safa'i, Abu Abdullah Al-Quda'i, (1995 AD), the history of Al-Quda'i, "The Eyes of Knowledge and

the Arts of News of the Caliphs", investigated by Jamil Abdullah Muhammad Al-Masri, Mecca, Saudi Arabia, Center for Research and Revival of Islamic Heritage.
Al-Kazaruni, Sheikh Zaheer Al-Din Ali Muhammad Al-Kazirouni, (1970 AD), a brief history from the beginning of time to the end of the state of Bani Al-Abbas.
Ibn Katheer, Abu al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer al-Qurashi al-Basri and then al-Dimashqi (1986 AD), The Beginning and the End, Cairo, Dar al-Fikr.
Al-Kindi, Abu Omar Muhammad bin Yusuf bin Yaqoub Al-Kindi Al-Masri (1908 AD), Governors and Book of Judges, corrected by Art Just, Beirut, Lebanon, the Jesuit Fathers Press.
Al-Masoudi, Abu Al-Hassan Ali Bin Al-Hassan Bin Ali Al-Masoudi, (D.T), Promoter of Gold and the Minerals of the Core, investigated by Muhammad Mohi Al-Din Abdel Hamid, Beirut, Lebanon, Al-Asriya Library.
- Warning and supervision, correction, (W.D),Abdullah Ismail Al-Sawy, Dar Al-Sawy, Cairo.
Al-Nuwairi: Ahmed bin Abdul-Wahhab bin Muhammad bin Abdul-Daim Al-Qurashi Al-Taymi Al-Bakri, Nihat Al-Arb in Arts of Literature, (2002 AD), Cairo, Dar Al-Kutub and National Documents.
Al-Yaqoubi, Ahmed bin Abi Yaqoub, (1940 AD), Tarikh Al-Yaqoubi, Najaf, Iraq, Al-Ghari Press.

Secondly, Arabic references

Hussein, Muhammad Kamel: The Literature of Islamic Egypt, (D.T), The Age of Walis, Cairo, Hendawy Foundation.
Reda, Amira Sheikh: The Fatimids (Their History and Antiquities in Egypt,(2013) , Beirut, Lebanon, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
Al-Zarkali, Khair Al-Din: Al-Alam, (2002 AD), Beirut, Lebanon, Dar Al-Ilm for Millions.
Arabic Language, Compound, (2003 AD), Al-Wajeez Dictionary, Cairo.
Al-Arian, Muhammad Saeed, Qatar Al-Nada, (2015 AD), Cairo, Hendawi Foundation for Education and Culture.
Mahmoud, Hassan Ahmed: The Islamic Civilization of Egypt in the Tulunid Era,(D.T.), Cairo, Dar Al-Fikr Al-Arabi.

Thirdly, Foreign references:

The Encyclopedia of Islam,(1986), New Edition, Volume 1, Leiden, Brill,
Lev, Yaacov, (1997), War and society in the eastern Mediterranean, 7th-15th centuries, Brill.
Stanly Lane –poole , (1901), history of Egypt in the middle ages, London.

Strategies to confront political hostility At Al-Mu'tadid and Khamarawiyah between injury and failure - an analytical study 270-282 AH/884-896AD

Eman Moustafa Abdelazeem

Abstract:

By establishing the Abbasid Caliphate, the Tulunid state dealt a blatant blow that divided opinion among its supporters and opponents when Ahmed bin Tulun used his intelligence to convince the “approved caliph of independence in the Wilayat of Egypt,” while his crown prince “Al-Muwafaq” did not accept and formed a strong obstacle for him, and he opposed him seeking To reclaim Egypt, until Ibn Tulun died, and his young son Khamarawayh inherited his possessions, so Al-Muwaffaq was optimistic and saw that the time was the time for political planning, which he conveyed to his son “Al-Mutadhid.” The young man closely interested in reclaiming Egypt, but his father advised him to achieve his goal with the measure, by saying: The Banu Tulun will not be taken soon? As long as they have in their hand the treasures of Egypt, and under their feet are the treasures of the Pharaohs.” And this son of his is what will complete his career, and when he came to power, the two young rulers found themselves face to face and had inherited a heavy legacy and political hostility with ancient roots, and a heavy responsibility was placed upon them, and soon Al-Mu'tadid began to implement his father's wise plan, taking advantage of Khamarweh's exaggerated extravagance. He plotted polytheism for him and, unfortunately, Khamarawih rushed and fell into it without notice, and he participated with the Abbasid Caliph in the unintentional collapse of his independent state.

Key words:

strategies; confrontation, political hostility; the antagonist; hibiscus;